

# الاتصال والتنمية

## Communication & Development

مجلة بحثية محكمة تعنى بشؤون الاتصال والتنمية في المجال العربي

مدير التحرير: د. عدنان خوجة

رئيسة التحرير: د. مي العبدالله

### الهيئة الاستشارية العلمية

- |                            |                  |
|----------------------------|------------------|
| د. صالح أبو أصبع           | د. أحمد حيداس    |
| د. عبد الرزاق محمد الدليمي | د. أسماء شملي    |
| د. عماد بشير               | د. أنطوان صيَّاح |
| د. عزة عبد العظيم          | د. برتران كابدوش |
| د. محمد شطاح               | د. بسام بركة     |
| د. مسعود ضاهر              | د. جمال مجاهد    |
| د. مصباح الصمد             | د. جورج غريغوري  |
| د. نصر الدين لعياضي        | د. رفيق قورقوسز  |
| د. هدى عدره                | د. الصادق رابح   |

### تصدر عن

دار النهضة العربية  
للطباعة والنشر والتوزيع  
الزبدانية-بيروت  
Tel: 00 961 1 743166/7  
e-mail: darnahda@gmail.com



المركز العربي لبحوث الإتصال والتنمية (ACCDR)

e-mail: ittisanmia@gmail.com

Tel/Fax: 01807245

### جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني

الإشتراكات السنوية: لبنان والدول العربية ١٠ دولار أميركي  
بقية دول العالم ٢٠ دولار أميركي

السعر: لبنان ٥٠٠٠ ل.ل.  
الدول العربية ٣ دولار أميركي  
بقية دول العالم ٧ دولار أميركي



## الفهرس

- الكلمة الإفتتاحية: ص
- نتائج "الربيع العربي" و معوّقات التغيير.....٥  
د.مي العبدالله
- الاعلام البرلماني.. رهانات التثقيف وآلية التطوير.....٧  
أ. محمد خليفة صديق
- اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفة نيويورك تايمز  
قبل الحرب الأمريكية على العراق (دراسة تحليلية).....٢٧  
أ. أحمد علي محمد زيدان
- قراءة حول المتغير الثقافي في الثورات العربية.....٤٥  
د. مصباح الصمد
- قراءة حول المتغير الاجتماعي للربيع العربي.....٥٦  
د. مصطفى الحلوة
- الأسس الحقوقية للربيع العربي.....٦٦  
د. محمد رفيق قورقوسز
- الكلمة الخاتمة
- قراءة في المتغير السياسي للربيع العربي.....٧٥  
د. عدنان خوجة

### Editorial:

The results of the «Arab Spring» and the obstacles to change.....5

Dr. May Abdallah

New Interactive Teaching Technologies and Education Process:

What Uses, What Obstacles and What Added Values?.....8

Dr. Kamel Hamido

The Study of Haptics in Selected Hadith of Prophet Mohammad  
(peace-be-upon-him).....46

Dr. Omayma Al-Mughrabi

## قواعد النشر في المجلة

تمثّل مجلة «الاتصال والتنمية» فضاء بحثياً لنشر البحوث والدراسات الأصلية والمبتكرة والملتزمة بشروط الكتابة العلمية. وتهدف المجلة الى تجاوز ندرة الفضاءات المخصّصة للنشر الأكاديمي، وفرص اللقاء والحوار بين الباحثين العرب، وتطوير حقل الدراسات التي تتمحور حول الإتصال والتنمية، وذلك من خلال تيسير عملية تبادل المعارف والتجارب البحثية. كما تسعى المجلة الى تشجيع آليات النشر، مما يسمح بخلق فضاءات نشر جديدة بالنسبة للباحثين العرب، والتعريف ببحوثهم وإسهاماتهم في مجال الدراسات الاتصالية والتنمية لدى الأوساط الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، والأوساط المهتمة بإشكاليات الإتصال والتنمية.

ترحب المجلة بمساهمات السادة الباحثين وتقبل نشر الدراسات والبحوث وفقاً للقواعد التالية:

أن يكون البحث أصيلاً غير منشور سابقاً

أن يتّبع البحث الأصول العلمية والمنهجية

تخضع البحوث المعدة للنشر للتحكيم. ويمكن أن يُطلب من الباحث إجراء التعديلات على ضوء ملاحظات المحكمين

يرفق البحث بسيرة علمية موجزة عن كاتبه

يطبع البحث على الحاسوب بخط ١٤ (Simplified arabic)، على أن يكون عدد الكلمات بين ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ كلمة،

بما في ذلك الحواشي والملاحق وقائمة المراجع والمصادر

تأتي المصادر مع الهوامش في آخر البحث.

يرفق مع البحث ملخص باللّغة الثانية (العربية أو الانجليزية)، على أن لا تزيد كلمات الملخص عن ٣٠٠ كلمة.

يتم اعتماد التوثيق باستخدام أسلوب APA . يمكن الاسترشاد بالرابط التالي:

<http://www.apastyle.org/index.aspx>

تقبل الأبحاث باللغات الثلاث: العربية، والفرنسية والانجليزية.

ترسل البحوث الى رئاسة التحرير على العنوان:

ittisaltanmia@gmail.com أو mayabdallah@hotmail.com

عنوان المحور القادم: الإتصال السياسي والتنمية الاجتماعية

## نتائج "الربيع العربي" و معوّقات التغيير

رئيسة التحرير

د.مي العبدالله

إن عناوين هذه المرحلة من تاريخ الشعوب العربية هي المطالبة بالديمقراطية والكرامة، ومعالجة قضايا الفقر والبطالة، وتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص. وفي هذا السياق من الضروري الإشارة الى حالة الفوضى التي ما تزال تكتنف معظم الدول العربية. وهذا أمر طبيعي في ظل انهيار القبضة العسكرية، وعدم وجود قوى سياسية مجتمعية قادرة على الحسم. وقد يستمر ذلك الى فترة من الزمن يصعب تقديرها حتى تتضح الأمور وتستتب الأوضاع، لكن العودة الى الوراء في ظل صحوة الشعوب، إلى أنظمة الاستبداد والفساد، باتت من الماضي.

من النتائج الملموسة التي أسفر عنها "الربيع العربي" تصاعد دور الإسلاميين باتجاهاتهم المختلفة نتيجة حفاظهم على بُناهم التنظيمية، وعلى علاقاتهم بحاضنتهم الثقافية والشعبية داخل المجتمعات، واستعدادهم لعقد الصفقات مع القوى الفاعلة على الساحة، وهو ما مكنهم من الحصول على أغلبية مريحة في الانتخابات البرلمانية التي حصلت في كل من مصر وتونس.

لكن انجازات الإسلاميين في الانتخابات يقابلها حقيقة أنهم أيضاً ليسوا القوة الحاسمة، أو القادرة بمفردها على إدارة شؤون الدول. فقوتهم التصويتية لا تزيد في أحسن حالاتها على ٢٥٪ من مجموع أصوات الناخبين. وهنا يبرز التحدي الرئيسي أمام الإسلاميين، وهو ضرورة الاتجاه إلى القوى السياسية الأخرى والتفاهم معها بمنطق الحوار، لبناء الدول وفق منطق العصر الذي لم يعد فيه مكان للإقصاء والاستفراد والهيمنة، وهذا ما ستكشف عنه الأيام المقبلة .

يمكن القول ان أحداث "الربيع العربي" تحمل سمات الثورات من جانب، كما تحمل عناصر الانتفاضات المطلوبة المستمرة من جانب آخر. فالثورات وبحسب مفهوما وتجارب الماضي البعيد والقريب، من المفترض أن تكون لها قيادات منظمة ذات رؤى وأهداف سياسية وفكرية موحدة أو متقاربة على الأقل، وهذا ما لم تتميز به أحداث الربيع العربي.

وقد اكتسبت التحركات الشعبية زخماً جماهيرياً هائلاً ولكن من دون قيادة موحدة، وهذا بدوره سهّل على القوى السياسية المنظمة في المجتمع مثل الإخوان المسلمين ركوب الموجة لاحقاً، وتجيير التحركات لصالحها. إلا أن الظروف الاقتصادية الصعبة واتساع الفجوة بين الحاكم والمحكوم والجمود السياسي، هي العناصر الرئيسية المحركة للثورات والانتفاضات المطلوبة، وهذه الأسباب توفرت الى حدّ كبير في مجال الربيع العربي. وقد تضافرت معاً وأدت الى اندلاع أحداث الربيع العربي، لذا يمكن القول ان ما حدث هو أقل من ثورات، بالمعنى المتعارف عليه للثورة، وهو أيضاً أكثر من انتفاضات مطلبية احتجاجية بدليل استمرار

تداعياتها وتواصلها، بل إن ما حدث يؤشر الى دخول العالم العربي مرحلة جديدة، يستبعد فيها أو يستحيل الرجوع الى الوراء.

هناك من الفلاسفة من يرفض الثورة رفضاً تاماً ويعتبرها نوعاً من الخراب الذي يصيب البنية الاجتماعية والسياسية ويهدد أسس الدولة وكيانها، وهو ما ذهب إليه سبينوزا حين أدان في كتابه «رسالة في السياسة»، القلاقل والانتفاضات ووقائع الشقاق والانفصال، بمختلف أنواعها. بهذا المعنى، يتم الحديث عن الثورات التي تأكل أبناءها، أو تتم خيانة مبادئها وتوجهاتها من طرف قادتها والفعلة الأساسيين فيها، كما حدث في الثورة الفرنسية، التي شهدت قطع أعناق البعض من زعمائها وخطبائها، مثل دانتون وروبسبير وغيرهما، والثورة الإيرانية، التي سرعان ما انقلب فيها رجال الدين من «الملاي»، بزعامة الخميني، على حلفاء الأمس من اليساريين والليبراليين، ليُعدَم البعض ويفر آخرون خارج البلاد، إضافة إلى أمثلة عديدة أخرى.

الربيع العربي أحدث تغييراً كبيراً في موازين القوى الإقليمية، وهو في طريقه لإحداث المزيد، حيث أن المحتوى الإيديولوجي الإسلامي الصاعد حتى الآن سيخلف فضاءً جديداً، من التعاون مع الدول الإسلامية غير العربية في المنطقة، أي تركيا وإيران، بكل ما يعنيه ذلك من انعكاسات على دوريهما الإقليميين. وعلى الصعيد العالمي ستحاول الولايات المتحدة الأميركية كقطب عالمي أوحده حتى الآن أن تشكل نظاماً إقليمياً جديداً يحفظ مصالحها ومصالح إسرائيل، وتحديداً بعد بداية تراجع المكانة الأميركية بالتوافق مع صعود قوى دولية أخرى وهي: الاتحاد الأوروبي، اليابان ومجموعة بريكس (البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب أفريقيا). ولذلك فإن النظام الدولي المتعدد الأقطاب هو الأكثر ملاءمة للقوى الصاعدة في العالم العربي كتداعيات للربيع العربي، حيث تمنحها تعددية النظام الدولي حرية الحركة والاختيار والمناورة، ولا تخضعها لهيمنة قوة دولية واحدة. ولذلك نتصور أنه في ظل نظام متعدد الأقطاب فإن السياسات العربية سيكون أمامها مجال أوسع لبناء علاقات أقوى مع القوى والمراكز الدولية الصاعدة وفي صدارتها دول مجموعة بريكس .

وبالمحصلة، فقد أحدثت الثورات العربية حراكاً إقليمياً جديداً لم ينته بعد، حيث إنه من الصعب التكهن بالمدى الذي سيصل إليه هذا الحراك، وكذلك طبيعة المعادلات الإقليمية الناشئة عنه، والتي ربما تفضي إلى عالم مختلف في الشرق الأوسط، أي أوضاع إقليمية جديدة.

إن بناء الدول في ظل تحديات اقتصادية كبيرة، وتحديات خارجية لا تقل خطورة، يتطلب التفاهم مع مكونات المجتمع، وقواه السياسية والفكرية كافة وفق منطق الحوار والتفاهم بعيداً عن الإقصاء والاستفراد والهيمنة، التي لا مكان لها في عالم اليوم .

## الإعلام البرلماني .. رهانات التثقيف وآلية التطوير

أ. محمد خليفة صديق

أكاديمية السودان لعلوم الإتصال

### Abstract:

The importance of discussing the parliamentary evolution is derived from believing in the importance of the institution and values and democratic beliefs and going forward to the governance of the formularization of an institution and its importance in making a good judgment, and a proper parliament; for there is more than one approach for the understanding of the democracy in the political institutions. One of these approaches expresses the structure of the labor organization and the formality of politics, whereby it is then focused on the essential democratic agreed-upon rules, such as law dominancy, political and social diversity, forgiveness, freedom of speech as well as the freedom and rights of citizenship..

As for the other approach, it considers the institutional democracy as the ways and means to political and social rehabilitation in all aspects, like using calculators when facing public governments, and transparency in making decisions, and in being committed to law dominancy, as well as being able to enforce participation and respecting human rights and fighting corruption. This approach denotes the shifting from theoretical hypothesis to practical thinking, with regards to the rehabilitation philosophy, through measurable indicators to evaluate the institutions' state/condition/position, and their ways of operation and their level of interaction with the location.

In this context/framework, it is possible to discuss the "quality standards" for the political institutions, like the proper political party, the proper non-governmental organizations, the proper parliament and its media. There is no doubt that the proper parliament that is based on these standards, is that which is accessible to the public. Media, in all its means, verbal, non-verbal, written and electronic, is the lifeblood in human societies characterized as a major source in building the social and

political life of citizens. It is also the mirror that reflects to which extent of civilization the nations have evolved to, and it is the voice of expressing human stands, aspirations and wishes.

The enormous development in the media and communications sciences influenced all institutions and formats and programs, in a way that the multiple courses of communication science emerged, where the political communication appeared, and the parliamentary media was illustrated as its branch, with elderly and youth media specialists.

With its various appearances, the parliamentary media became equivalent to the infrastructure of the development of the parliamentary institution, with its share in the restoration of the democratic climate and the development of its institutions from the other side, therefore, working on the development of the communication systems and parliamentary media is one of the necessities to improve and advance the parliamentary institution, and overseeing the work done and strengthen the positions of the ministers/deputies/representatives and adding transparency, credibility and objectivity to the parliamentary process.

#### مقدمة:

تأتي أهمية تناول موضوع التطوير البرلماني من الإيمان بأهمية المؤسسة والقيم والمعتقدات الديمقراطية والاتجاه إلى الحاكمة أو المؤسسة وأهميتها في الحكم الجيد، ومنها البرلمان الجيد، فهناك أكثر من اتجاه لمفهوم ديمقراطية المؤسسات السياسية، أحد هذه الاتجاهات يعبر عن شكل نظام العمل وأسلوب صنع السياسة، بما ينصرف إلى القواعد الأساسية المتعارف عليها للديمقراطية، مثل سيادة القانون، التعددية السياسية والاجتماعية والتسامح والتعبير الحر، حريات وحقوق المواطنة.

أما الاتجاه الآخر، فيعتبر الديمقراطية المؤسسية هي أساليب وخطوات من أجل الإصلاح السياسي والاجتماعي ككل، مثل اعتماد آليات المحاسبة في مواجهة السلطات العامة، ومظاهر الشفافية في عملية صنع القرار، والالتزام بسيادة القانون، والقدرة علي تعزيز فرص المشاركة واحترام حقوق الإنسان ومكافحة الفساد، وهذا الاتجاه يشير إلى الانتقال في فكر الإصلاح من التعامل النظري إلى التفكير العملي من خلال مؤشرات قابلة للقياس لتقويم حالة المؤسسات وطريقة عملها، ودرجة تجاوبها مع الموقع.

وفي هذا السياق يمكن الحديث عن «معايير الجودة» للمؤسسات السياسية، مثل الحزب السياسي



الجيد، والمنظمات غير الحكومية الجيدة، والبرلمان الجيد، والإعلام البرلماني الجيد، ولا شك أن البرلمان الجيد وفق هذه المعايير، هو المنفتح على الجماهير. والإعلام بوسائله المتعددة المرئية والمسموعة والمقروءة والإلكترونية يُشكل عصب الحياة في المجتمعات البشرية بصفته مصدراً رئيساً في بناء الحياة الاجتماعية والسياسية للمواطن، وهو المرآة التي تعكس مدى ما توصلت إليه الأمم من تقدم ورقي حضاري، وهو الصوت المبرر عن مواقف الإنسان وتطلعاته وأمنيته.

وانسحب التطور المهول في علوم الإعلام والاتصال على كل المؤسسات والأنساق والبرامج، فبرزت المساقات المتعددة لعلم الاتصال، فظهر الاتصال السياسي، وتبلور الإعلام البرلماني كفرع عنه، وصار له مختصون من شيب الإعلام وشبابه، في تمظهراته المتعددة، فالإعلام البرلماني أصبح بمثابة البنية التحتية لتنمية المؤسسة البرلمانية، وله سهمه في إنعاش المناخ الديمقراطي وتطوير مؤسساته من جهة أخرى، لذا فإن العمل على تطوير نظم الاتصالات والإعلام البرلماني يعد من الضروريات لتطوير المؤسسة البرلمانية والنهوض بها، والارتقاء بالعمل الرقابي وتقوية مواقع النواب وإضفاء الشفافية والصدقية والموضوعية على العملية البرلمانية.

### إشكالية البحث ومحتواه:

تحاول الورقة أن تعالج إشكالية التزاحم في الإعلام البرلماني بين دوره التثقيفي للمجتمع وللنواب الجدد حول مجمل العمل البرلماني، وبين سياقه المهني كناقل للنشاط البرلماني، وسياقه السلطوي كمراقب ومقوم للعملية البرلمانية، ومن بعد تسعى الورقة لتلمس ملامح ومحددات لتطوير الإعلام البرلماني، تتسق مع التطور المتصاعد في الحقل السياسي وحقل الميديا عموماً.

وستعرّف الورقة بالإعلام البرلماني وماهيته وأهميته للحياة البرلمانية، وأهدافه والوسائل الإعلامية المتاحة له من إعلام تقليدي وجديد، والنماذج العالمية المتطورة في مجال الإعلام البرلماني، بجانب تشخيص واقع الإعلام البرلماني ودوره التثقيفي والرقابي والتقويمي ضمن تجارب بعض الدول العربية.

كما تفيض الورقة في التعريف بوسائل تفعيل دور الإعلام البرلماني وتوثيق علاقته بالبرلمان والمجتمع وعوائق ذلك، بجانب محددات الإعلام البرلماني، والتحديات التي تواجه الإعلاميين البرلمانيين، وسبل تحقيق أهداف الإعلام البرلماني بالنسبة للإعلاميين وللبرلمانيين وإسهامات الإعلام البرلماني في المجتمع.

كما تناقش الورقة سبل بناء الصورة الذهنية للثقافة البرلمانية عند المتلقين سواء من عامة الشعب، أو النواب الجدد، من خلال تشخيص السمات المحددة للإعلام البرلماني، واستشراف سبل النفاذ عبره لتعزيز الأنشطة البرلمانية، بما يسهم في دفع عملية التنمية السياسية والاجتماعية وتطوير الأداء البرلماني، وإيجاد صيغة مثلى لإعلام برلماني قادر على أداء دوره على أكمل وجه.

## ما الإعلام البرلماني وأهميته للحياة البرلمانية:

يمكن تعريف الإعلام البرلماني بأنه: إعلام متخصص يعرض ويناقش ويحلل كل ما يدور من مناقشات وآراء ومقترحات وقرارات وتكتلات نيابية من مؤيد أو معارض وذلك من أجل تعزيز ثقافة المشاركة والشفافية<sup>١</sup>. بينما يُعرفه البعض الآخر بأنه إعلام موجه، الغرض منه خدمة وإبراز العملية البرلمانية، وذلك عن طريق نقل كل ما يتصل بأعمال البرلمانيين والبرلمان للمواطنين، بهدف تدعيم التواصل والاتصال بينهم وبين أفراد الجمهور ومؤسسات المجتمع المدني وتوسيع المشاركة الشعبية في صناعة القرار وتكريس مبدأ الشفافية ونشر المعلومات.

ويقوم الإعلام بدوره الرقابي في البرلمان من خلال تغطيته الخبرية ومتابعته والقيام بالتحقيقات الاستقصائية والحيادية في الطرح والتناول، ومتابعة ردود النواب وقراءه خطاباتهم في التقارير أو الموازنة ومدى انسجامها مع الممارسات اليومية للنائب، رغم ما يلاحظ على معظم الصحفيين البرلمانيين من افتقار يومياتهم بتفاوت للتحليلات المعمقة للخطابات النيابية سواء في التقارير وحجب الثقة أو الموازنة أو غيرها، إذ إن الطريقة التي يتم فيها تغطية الموازنة العامة للدولة تغيب عنها لمسات الحرفية الصحفية وأبسط قواعد المهنة.

وتظهر أهمية الإعلام البرلماني في نتائج بعض الدراسات من خلال تحليل مضمون عينة مكونة من (٢٧٤٧) موضوعاً سياسياً من نشرات الأخبار التلفزيونية بأكثر القنوات التلفزيونية مشاهدة في (١٤) دولة اوروبية فى الأسبوعين السابقين لبدء إجراء الانتخابات البرلمانية الاوروبية لعام ١٩٩٩م، لوجود علاقة طردية بين عدم رضا الجماهير عن أداء الحكومات القومية وأيضاً تعبئة أفكار وإتجاهات النخبة السياسية المتعلقة بالاتحاد الأوروبي وبين زيادة معدلات التغطيات الإخبارية لنشرات الأخبار التلفزيونية بالقنوات العامة لأحداث الانتخابات الاوروبية<sup>٢</sup>.

نلاحظ اليوم أن معظم الصحف تقوم بنقل ملخصات عن كلمات النواب مع مقدمة لا تتعدى ٧٠٠ إلى ٩٠٠ كلمة، وبعضها يقوم بتخصيص صفحتين إلى ثلاث صفحات في الصحيفة يومياً للخطابات في البرلمان، بدون تعليق أو تحليل. قد لا يتحمل صحفيو اليوميات مسؤولية ذلك، وإنما السياسة التحريرية للصحف وبعض محاولات الاسترضاء النيابية، والضغط التي تتعرض لها الإدارات من أجل إبراز كلمة لنائب معين ووضع صورة لآخر، مما يحد من حرية الصحفي وحركته.

فالإعلام البرلماني يُبرز دور الأعضاء في التشريع والرقابة والمساهمة في تحديد أولويات الإنفاق العام، والدفع باتجاه التنمية السياسية ومتابعة السياسات الاقتصادية ومحاربة الفساد، وفي الوقت نفسه يساعد على تفعيل دور المواطن من خلال نشر الوعي فيما يجري وتقويم أداء البرلمان ورفع مستوى المشاركة الشعبية في صناعة القرارات والتوصيات بإبراز اتجاهات الرأي العام، ويمكن القول أن الديمقراطية الحقة هي التي من شأنها إبراز مجلس نيابي قوي ومؤثر وقادر على خلق حالة من التواصل مع الإعلام.

كما يعكس الإعلام البرلماني في رقابته على عمل البرلمان، المستوى الذي بلغته حرية الرأي والتعبير، ومستوى تطور المجتمع سياسياً، ويُعد ذلك، مقياساً للمستوى الذي بلغته مسارات التحول الديمقراطي في الدولة والمجتمع على حد سواء، وعلامة على قدرة المجتمع بمؤسساته المدنية المتعددة، والدولة بأجهزتها وإدارتها المختلفة، على توفير أدوات المحاسبة والمساءلة، ووسيلة مهمة لتداول الحوار بين مختلف الاتجاهات والأطياف والتيارات السياسية والاجتماعية والفكرية.<sup>٢</sup>

### أهداف ووسائل الإعلام البرلماني:

كغيره من أنواع الإعلام وفروعه المتعددة، يمتاز الإعلام البرلماني بجملة من الأهداف، يلخصها بعض المهتمين في الآتي:

- إبراز دور المجالس البرلمانية في التشريع والرقابة ومحاربة الفساد.
- إنعاش المناخ الديمقراطي وإشاعته بين أفراد المجتمع.
- تفعيل دور المواطن في تقويم أداء المجلس البرلماني ورفع المشاركة الشعبية في صناعة القرارات والتوصيات البرلمانية من خلال قياس اتجاهات الرأي العام.
- تدعيم صناعة القرارات والتوصيات البرلمانية من خلال ربط المجالس البرلمانية بالأفراد ومؤسسات المجتمع المدني.
- إبراز حجم العمل البرلماني والممارسة الرقابية والمبادرات التشريعية محلياً وعالمياً.
- تعزيز مبدأ الحوار وتقبل الرأي الآخر عن طريق التواصل المباشر بين أعضاء البرلمان والمواطنين.
- إضفاء المزيد من الشفافية والموضوعية على العمل البرلماني من خلال التغطية الإعلامية لجلسات البرلمان ولجانه.
- التأكيد على دور الحكومة في توفير المعلومات والتعاون مع البرلمان.
- التعريف بالمجلس البرلماني ومضابطه وقراراته وتوصياته وآلياته ونشاطات أعضائه وقوانينه ولوائحه.

وهذه الأهداف يتوسل الإعلام البرلماني للوصول إليها عبر وسائل عديدة تمهد له الوصول لهدفه، تتمثل في الآتي:

#### أ) القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية:

تعتبر المحطات التلفزيونية الفضائية والإذاعية من الوسائل التي يستخدمها الإعلام البرلماني لتحقيق أهدافه، والتي من شأنها أن تزيد من الوعي البرلماني لدى المواطنين وتزودهم بأخر التطورات الجارية في الجلسات البرلمانية، وكل ما يتعلق بها من مضابط وقرارات وتوصيات، كما أنها تساعد في شرح قواعد وإجراءات العملية التشريعية والنيابية، إضافةً إلى فاعليتها في التأثير على السلوك النيابي حيث يوضع العضو بصورة دائمة تحت المراقبة الشعبية، إلى جانب دعمها للقرار التشريعي من خلال فتح النقاش وإتاحة الفرص

للمواطنين للتعبير عن آرائهم حول المسائل المثارة في البرلمان قبل اتخاذ القرار.

(ب) الصحافة التقليدية والإلكترونية:

يستخدم الإعلام البرلماني الصحافة بشقيها، والتي تعتبر الوسيلة الأكثر شيوعاً والمنبر الأكثر فاعلية في توصيل المعلومة البرلمانية للقارئ، حيث يتم من خلال الإعلام البرلماني نقل كامل لنصوص مضابط جلسات البرلمان، أو جزء منها، أو مقتطفات إخبارية لها، كما تُشرك الصحافة في عمليات الاستفتاء وقياس اتجاهات الرأي العام، وذلك تدعيم لقرارات المجلس النيابي والارتقاء بمستوى العمل فيه. وكشفت دراسة حول المعالجة التليفزيونية والصحفية للقضايا البرلمانية ودورها في تشكيل اتجاهات الجمهور العام نحو البرلمان، أن الصحف تمتعت بتأثير أقوى في الفترات الانتخابية، وكانت أقوى من التليفزيون من حيث تأثيرها. ° كما بينت نفس الدراسة أن نسبة من شاركوا في القضايا البرلمانية من خلال أشكال عديدة (مراسلة الصحف- التصويت- مخاطبة النائب) قد زادت في فترة الانتخابات البرلمانية، كما زاد مستوى الإنغماس السياسي لدى المبحوثين أثناء الانتخابات.

(ج) وسائط الإعلام الجديد :

يعتبر الإعلام الجديد وتمثلاته في الشبكة الدولية للمعلومات وتطبيقاتها من الوسائل الإعلامية المؤثرة في العمل البرلماني وفي تطوير أدائه، حيث يساهم الإعلام الجديد في بسط الثقافة البرلمانية وتبسيطها للمتلقين، كما يساهم في التعريف بأدوار البرلمان وربط الأعضاء بدوائهم وجماهيرهم، فالموقع الإلكتروني لأي برلمان يساهم بقوة في ربطه بمؤسسات المجتمع المحلي الحكومية والأهلية، كما يربطه أيضاً بالعالم الخارجي، وهو حلقة وصل مع المواطن حيث يزودهم بأهم المستجدات على الساحة البرلمانية داخلياً وخارجياً وعرض الجلسات وما يرتبط بها، ولأهمية الموقع الإلكتروني للبرلمان سنفرده له فقرة خاصة في نهاية البحث.

(د) النشرات البرلمانية:

تعد النشرات البرلمانية الورقية والإلكترونية التي تصدر عن البرلمان من الوسائل التي يستند عليها الإعلام البرلماني لنقل رسالته البرلمانية التي تتناول آخر القضايا التي نوقشت في البرلمان والأخبار البرلمانية المستجدة، بالإضافة إلى الدراسات والبحوث التي تخدم العضو البرلماني وتعزز موقفه، إلى جانب تزويده بالمعلومات التي يحتاجها، ونشر الأخبار المتعلقة بفعالياته وأنشطته البرلمانية وربطه بقاعدته الجماهيرية في دائرته الانتخابية.

(هـ) الإعلام المباشر:

ويضم الندوات والسمنارات وحلقات النقاش التي ينظمها البرلمان ولجانه المتعددة لمناقشة القضايا الملحة، التي تحتاج الى بلورة رأي متخصص قد لا يتوفر في عضوية البرلمان، حيث يسهم الإعلام البرلماني في تغطيتها وتبسيط الأضواء عليها، ولفت الأنظار لبعض دقائقها، وإشراك الرأي العام في مثل هذه القضايا.

### واقع الإعلام البرلماني ودوره التثقيفي والرقابي والتقويمي:

يلعب الإعلام البرلماني أدواراً محورية في مجال التثقيف بالشأن النيابي وتبسيط مفاهيمه لعامة المواطنين، سيما للشباب والبرلمانيين الجدد، كما يسهم في دعم مشاركة الشباب في العملية الانتخابية والنيابية من خلال زيادة عدد من مرشحي الأحزاب من الشباب في الانتخابات العامة والمحلية، وتحفيز كل من يرغب من المواطنين في المشاركة في الانتخابات والتصويت بكافة مراحلها، وتسهيل إجراءات الحصول على البطاقة الانتخابية، وتسهيل عملية التصويت والإقتراع وغيرها من الأمور.

كما يسهم الإعلام البرلماني خصوصاً، والإعلام السياسي عموماً في تنمية الثقافة السياسية للشباب وتعميقها، وإنهاء حالة اللامبالاة السياسية التي تجتال كثير من الشباب المثقف في العالم العربي، عن طريق تشكيل وعي قومي يُشارك فيه المتخصصون المعنيون وأصحاب الرؤى السياسية والفكرية.

ولفت الإعلام البرلماني أنظار المواطنين وغيرهم لكثير من مواطن الخلل والزيغ في أداء الدولة والبرلمان والموظفين العموميين، وينتهج الطرق السلمية للتعامل مع تلك الأمور، ويستخدم مختلف أساليب التناول الإعلامي من تقارير وتحقيقات وغيرها، فمثلاً يرى البعض أن الإعلام البرلماني يحث النواب على متابعة قضية الفساد في الدولة عموماً، وفي المؤسسة التشريعية خصوصاً، وذلك بالآتي:<sup>٦</sup>

- إقرار قانون الإفصاح عن الذمة المالية للدستوريين وللقياديين وأعضاء البرلمان في فترات متباعدة تسمح بعمل دراسة مقارنة للأرصدة.
- إقرار قانون حماية المبلغ عن الفساد بالطرق القانونية المشروعة.
- وضع قانون يضع سقفاً للإنفاق على الحملات الانتخابية، لسد ذرائع الفساد.
- وضع قانون للإفصاح عن أسماء المتبرعين للحملات الانتخابية.

وتختلف الرؤية في تقويم مدى نجاح وتقدير الإعلام البرلماني في القيام بالدور المنوط به على المستوى الرقابي، فمن الواضح أن عدم قيام الصحفيين والصحف بإعداد أي تقارير استقصائية عن النواب، وابتعادهم عن الدخول بتفاصيل معمقة في القضايا الجوهرية للمجلس من حيث المتابعة والتحليل والتعقيب والاستقصاء، يشكل ملحظاً رئيساً في غياب الدور الرقابي للإعلام البرلماني.<sup>٧</sup>

ورغم أن البعض لا يُنكر أن الإعلام البرلماني يؤدي حالياً دوراً مقبولاً الى حد ما في الرقابة والتقويم على البرلمانات، إلا أن هذا الدور ليس بالشكل المأمول والمفترض، كما أن رقابة الإعلام على أداء النواب يجب أن

تتعزز بشكل كبير، فينتقل الصحفي من كتابة الخبر أو تغطية المناسبة، الى الرقابة الموضوعية الشاملة والكفيلة بالتمييز بين النائب الجيد أو غير الجيد من حيث الأداء التشريعي والرقابي، كما يجب الا تكتفي الصحف بإطلاق الشرارات ولا تقوم بمتابعة أثرها، حتى لا تقوض الدور الرقابي للإعلام على البرلمان.

ولعل المتهم الأكبر بالغياب الكامل هو الإعلام الرسمي مثل وكالة الأنباء الرسمية والإذاعة والتلفزيون الرسمي، حيث يلاحظ في معظم دولنا العربية غياب هذه الأجهزة عن خبايا ما يحدث في المجالس البرلمانية وأضابيرها ولجانها، وتكتفي بنقل الحدث دون تفاصيل، باستثناء نقل النشاطات البروتوكولية لرئيس البرلمان ونوابه دون التفرق لقضايا مفصلية ومحورية تمس حياة المواطن، كما أن هذه الأجهزة في معظم الأحيان لا تطرح وجهات نظر نواب المعارضة إن وجدوا، ولا رؤية مؤسسات المجتمع المدني وقضايا الفساد والإصلاح السياسي والحكم الرشيد أو تلك القضايا التي تضمن المساءلة وتعزز المشاركة السياسية.

ولكن يظل الدور الأهم للإعلام البرلماني هو أنه يعكس الأفكار والآراء المختلفة التي تتفاعل داخل المجتمع من خلال وجهة نظر نواب الشعب الذين يوجدون بالبرلمان، فأساس المجتمع الديمقراطي هو الإعلام الحر الذي يشكل أداة للرقابة والنقد والتوعية، والإعلام البرلماني كحقل إعلامي أصيل يسهم كرافد تثقيفي للمواطن وللنواب الجدد، كما يلعب دوراً في بلورة عدة قضايا منها:

- × يُسهم الإعلام البرلماني في نقل النتائج الانتخابية البرلمانية المحلية والعالمية.
- × يسهم في تعريف الجماهير بالقرارات والتوصيات التي تصدر عن البرلمان.
- × يسهم في تطوير السلوك النيابي للأعضاء بغرض التقريب بين الثقافات المتفاوتة بينهم وتوجيه التفاعلات النيابية إلى هدف مشترك هو المصلحة العامة.
- × يُسهم في التعريف باللوائح المنظمة للعمل البرلماني مثل واجبات العضو ومسؤولياته وحقوقه وشرح قواعد وإجراءات العملية التشريعية مثل ( طلب الكلمة، تقديم مشروع بقانون، إعادة المداولة والتصديق على المعاهدات والاتفاقات الدولية، تقديم السؤال، تقديم المسألة المستعجلة، الإستجواب، سحب الثقة، .. الخ).
- × يسهم في دعم القرار البرلماني من خلال فتح النقاش وتبادل الآراء حول المسائل المثارة أمام البرلمان قبل اتخاذ القرار.

× يسهم في تطوير علاقات أعضاء البرلمان بناخبيهم، وكذلك بمؤسسات المجتمع المدني، الأمر الذي من شأنه أن يثري العمل البرلماني وآلياته.

× يسهم في ربط المجتمع بالبرلمان، حيث يثير قضايا التجاوزات والفساد وغيرها، والتي تناقشها لجان البرلمان المتخصصة مثل لجنة الحسبة، التي توجد في عدد من البرلمانات، مثل البرلمان السوداني.

عموماً تعتبر الثقافة العامة والإلمام بالأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع من أدوات النائب البرلماني الفعّال، حيث أن الارتباط بالبيئة والمجتمع هو الذي يخلق التفاعل بين النائب وناخبيه من الجماهير والرأي العام، وبالتالي فمن المفيد أن يكون الإعلام البرلماني من العوامل المساعدة على

ربط العضو البرلماني بما يحدث في الواقع من خلال وسائل الاتصال المختلفة.

× التحديات التي تواجه الإعلاميين البرلمانيين:

رغم الإتفاق الكبير أن الإعلام اليومي المتصل بالبرلمان لم ينجح في مهمته بالشكل المطلوب، ولم يفلح بجدارة حتى الآن على الأقل، في عكس الأفكار والآراء المختلفة التي تتفاعل داخل المجتمع من حيث الحرية والديمقراطية وحقوق الفرد في التعبير والعمل والمواطنة، على اعتبار أن أساس المجتمع الديمقراطي هو الإعلام الحر الذي يشكل أداة للرقابة والنقد والتوعية.

ولكن ذلك لا ينفصل عن مجمل الأوضاع والظروف التي تؤدي في كثير من الأحيان، لتغييب أو تغييب الإعلام من أبرزها: عدم وجود التأهيل والتفهم لدور الإعلام، بجانب عدم وجود الأرضية المناسبة للإعلام لبسط سلطان رقابته من خلال تدخلات أعضاء البرلمان حيناً وإحجامهم عن الإدلاء بالمعلومات، أو محاولة تغييب الوعي العام بالإدلاء بمعلومات مقتضبة أو ذات إحياء معين، بجانب التدخلات الخارجية من الأجهزة الأمنية أو الحكومية أحياناً أخرى.

وفي كثير من الدول لم يتبلور مفهوم الإعلام البرلماني كتخصص له كينونته، فتجد الإعلام البرلماني مرحلة في حياة الصحفي، سرعان ما يغادرها لمرحلة أخرى، لذلك لم تتبلور أدبيات الإعلام البرلماني بشكل مهني معتمد، ولم تتراكم تجارب الصحفيين البرلمانيين، كنظرائهم في الإقتصاد والمجتمع وغيرها.

ولعل تحدي التأهيل المهني الإحترافي وصقل الخبرات لدى الإعلاميين البرلمانيين، يُعد هو أبرز تحديات الإعلاميين البرلمانيين، وهذا التحدي هو الذي يحول دون التناول المهني الإحترافي للشأن البرلماني، ومد جسور التعامل بين المواطن والبرلمان، ومسألة التثقيف البرلماني، وتطوير النظرة تجاه العمل النيابي والبرلماني، وهي مسألة تستدعي الوقوف عندها من جانب البرلمانات والجهات العاملة في مجال الإعلام والجهات النقابية الإعلامية.

**الصورة الذهنية للثقافة البرلمانية وسبل بنائها لدى المتلقين:**

الصورة الذهنية كما يراها الخبراء هي: الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات بناء على الخبرة المتاحة لهم، إزاء شخص معين، أو نظام ما أو منشأة أو منظمة، ويمكن أن يكون لها تأثير على حياة الإنسان من خلال الاحتكاك بها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.<sup>٨</sup>

وتنبع أهمية الصورة الذهنية من أن العقل لا يمكن أن يحتفظ بكل ما يتعرض له -بشكل كامل- حاضر في الذاكرة بكل تفاصيله طول الوقت وإنما يحتفظ برموز وصور وانطباعات عن الواقع الموضوعي وبشكل مجرد، ويتعامل مع الواقع من خلال الخبرة المختزنة عن الأشخاص والدول والمؤسسات والأحداث والمواقف.

فلذلك تظهر الحاجة الملحة لبناء الصورة الذهنية الحسنة والطيبة عن البرلمان والثقافة البرلمانية والنيابية، وكلما كانت الصورة الذهنية لدى الجماهير إيجابية عن هذا الجهاز ومؤسساته، كلما أتاح ذلك وجود مناخ يتيح له تحقيق أهدافه وأداء رسالته وتقديم خدماته من خلال تفهم الجماهير لدوره والإقبال على التعاون معه.

وقد كانت الأحداث الأخيرة والتي فتحت أبواب الصراع الثقافي والحضاري من أهم المواضيع حيث يتم تكوين الصورة الذهنية من عدة مصادر منها:<sup>١</sup>

(١) الخبرة المباشرة (Direct Experience):

عبر احتكاك الفرد اليومي بغيره من الأفراد والمؤسسات والأنظمة والقوانين، مما يعد مصدراً مباشراً ومؤثراً لتكوين الانطباعات الذاتية عن شخص أو مؤسسة أو فكرة أو دولة، وهذه الخبرة المباشرة (Direct Experience) أقوى في تأثيرها على عقلية الفرد وعواطفه إذا أحسن توظيفها، وهذه مهمة الإعلام البرلماني في تعامله مع جمهوره المستهدف.

(٢) الخبرة غير المباشرة (Mediated Experience):

ما يتعرض له الفرد من رسائل شخصية يسمعها من أصدقاء أو عبر وسائل الإعلام عن مؤسسات وأحداث وأشخاص ودول لم يرههم ولم يسمع منهم مباشرة، تعد خبرة منقولة (Mediated Experience)، وفي هذا النوع من الخبرة تلعب وسائل الإعلام المسموعة والمرئية دوراً أساسياً في تكوين الانطباعات التي يشكل الناتج النهائي لها الصورة الذهنية.

فوسائل الإعلام المختلفة تؤدي دوراً مهماً في تشكيل الصورة الذهنية الجيدة لدى الجماهير عن أي مؤسسة ما، فهي تُعد النافذة التي تطل الجماهير من خلالها على الأحداث والأنشطة والقضايا، في ضوء تعرضهم لهذه الوسائل، فلذلك يمكن للإعلام البرلماني أن يتلمس مواضع حقيقية في بناء الصورة الذهنية بالاستخدام المخطط لوسائل الإعلام في بناء الصورة الذهنية المرغوبة عن البرلمان والثقافة البرلمانية، وتصحيح الجوانب السلبية التي تتكون نتيجة للمعلومات غير السليمة أو المشوهة أو القليلة عن البرلمان والثقافة البرلمانية.

**تجليات الإعلام الجديد في الإعلام البرلماني.. الموقع الإلكتروني للبرلمان نموذجاً:**

الإعلام الجديد رافد رئيس لإي عمل إعلامي جاد في هذا العصر، فالموقع الإلكتروني للبرلمان مثلاً هو أبرز تجلٍ لصلة البرلمان بدنيا الميديا الجديدة، وله بالتالي أهمية كبيرة في دعم العمل المؤسسي البرلماني وكذلك في دعم الديمقراطية والإصلاح البرلماني، من خلال تأكيد قيم الشفافية وتحسين فرص المحاسبة الشعبية، وتظهر أهمية الموقع الإلكتروني للبرلمان بإعتباره من أهم أدوات الإعلام والعمل البرلماني، وكذلك في العلاقة بين البرلمان والحكومة وبين البرلمان والرأي العام. ويمكن تصنيف المستفيدين من الموقع الإلكتروني لأربعة



مستويات رئيسة هي:<sup>١٠</sup>

- ١- نواب البرلمان: فالموقع الإلكتروني يسهم في تدعيم وزيادة كفاءة عمل وأداء النواب، ودعم العمل التشريعي عموماً، وفاعلية الأداء الرقابي، وصنع وإقرار السياسات العامة.
- ٢- الباحثون والخبراء في مجال العمل البرلماني: وذلك بالبحوث البرلمانية، وتفعيل وتطوير الأداء البرلماني.
- ٣- الرأي العام والمجتمع المدني: يسهم الموقع الإلكتروني في ربط وتعريف الرأي العام والمجتمع المدني بأدوار وجهود البرلمان، على مستوى المجتمع المدني ممثلاً في المنظمات الطوعية وجماعات الضغط والمصالح، والرأي العام ممثلاً في الجماهير والدوائر الانتخابية.
- ٤- المؤسسة البرلمانية على المستويين الإقليمي والدولي: الموقع الإلكتروني للبرلمان هو بمثابة البوابة والعنوان للبرلمان المحلي على المستوى الإقليمي والدولي، وهو الذي يعكس مدى التطور الذي وصلت إليه الحياة النيابية. وبالتالي فالموقع الإلكتروني يعكس صورة البرلمان وصورة الدولة في نفس الوقت وكذلك يعكس العديد من المؤشرات، منها ديمقراطية العمل البرلماني، مدى احترام حقوق المواطنين، مدى تحقق مبادئ الحكم الجيد من شفافية ومساءلة وسيادة القانون.

### مقترح للموقع الإلكتروني الجيد للبرلمانات:

هذا المقترح يحتوي أهم متطلبات الموقع الإلكتروني الممتاز للبرلمانات العربية، ويضم ثلاث مراحل من أجل الوصول بالموقع إلى الهدف النهائي المبتغي منه ليكون الموقع الإلكتروني الجيد للبرلمان الجيد:<sup>١٢</sup>

#### المرحلة الأولى:

- وضع رؤية عامة حول الحياة السياسية في الدولة، بالإضافة إلى استعراض السلطات الثلاث بالدولة والبرلمان بها (حتى ولو عن طريق رسم بياني "Chart").
- استعراض وظائف البرلمان المختلفة وهيكله الداخلي، ولجانه الدائمة.
- لائحة النظام الأساسي أو اللائحة الداخلية المنظمة لعمل البرلمان.
- قائمة لاستعراض الموقع كاملاً وأهم الوصلات به "Site Map".

#### المرحلة الثانية:

- وضع استعراض ورؤية عامة لإجراءات العمل البرلماني (التشريعي والرقابي والمالي)، ووصلة حول أخبار البرلمان اليومية (Routine).
- إحصائيات وإجماليات حول الأنشطة البرلمانية المختلفة (التشريعية والرقابية والمالية والسياسية).
- خلفية تاريخية للحياة النيابية في هذه الدولة.
- وصلة لأهم البيانات الصحفية الرسمية الصادرة عن البرلمان.
- تجميع لكل ما كتب ونشر بالصحف حول أخبار البرلمان (يتم تحديثه أسبوعياً).

- هيكل البرلمان الداخلي والتنظيمي للأمانة العامة والإدارات المختلفة بها "Chart".

- استعراض اللجان البرلمانية الدائمة وهيكلها ومهامها الأساسية، والعاملين بها.

### المرحلة الثالثة:

- "Guide Tour" رحلة داخل البرلمان، (زيارة البرلمان والتعرف على محتوياته إلكترونياً).

- القدرة للوصول إلى البرلمان، وكذلك المكتبة البرلمانية والأرشيف البرلماني "Access to the Parliament".

- بالنسبة للإجراءات التشريعية والوثائق القانونية:

× السبيل لإعلام برلماني حيوي فاعل:

من الممكن أن تكون وسائل الإعلام عاملاً مساعداً أو معيقاً للبرلمان والمجالس التشريعية في جهودها تمثيل الناخبين وتلبية احتياجاتهم ورغباتهم، حيث تنعكس العلاقة الجيدة بين البرلمان ووسائل الإعلام على أداء البرلمان بأكمله، والنائب بشكل خاص، وكذلك الشعب الذي يسعى الجميع لخدمته، بجانب أنها بطبيعة الحال تعزز العملية الديمقراطية.

تراضي الجميع على قبول وسائل الإعلام على اعتبار أنها مشارك أساسي وجوهري في العملية الديمقراطية، وهذه هي الخطوة الأولى نحو إنشاء علاقة عمل صحيحة وجيدة مع وسائل الإعلام، وطمعاً في الوصول لذلك وضعت إثنا عشر عنصراً محدداً لإنشاء وإرساء علاقة عمل إيجابية ومثمرة للبرلمان مع وسائل الإعلام ووسائطه كافة، وبشكل خاص مع الصحفيين البرلمانيين والمراسلين الذين يغطون أعمال ونشاطات البرلمان، وتتلخص في الآتي: <sup>١١</sup>

١. تشجيع التغطية الإعلامية المهنية للبرلمان:

وسائل الإعلام هي الآلية المفضلة لإطلاع الجمهور على البرلمان الوطني كمؤسسة، وعلى القضايا والأمور التي ينظر فيها البرلمان، فينبغي لمساعدة وسائل الإعلام للقيام بعملها في هذا الصدد، أن يقوم المعنيون بكل ما يمكن فعله لتشجيع الصحافة على تغطية أعمال البرلمان، بجانب محطات التلفزيون والإذاعة المحلية بتوفير البث المباشر والحي لجلسات البرلمان، والنظر بعين الاعتبار لضرورة تحديد منطقة لجلوس الصحفيين والمراسلين في داخل قبة البرلمان، كما ينبغي على رؤساء اللجان تزويد الصحفيين والمراسلين خطياً أو إلكترونياً بجدول أعمال البرلمان قبل انعقاد الجلسات، وأن تسعى اللجان لجعل كافة اجتماعاتها وجلساتها مفتوحة لوسائل الإعلام، والتشجيع على تغطيتها بشكل كامل.

٢. الإحترام المتبادل بين البرلمان ووسائل الإعلام ومندوبيها :

من المهم أن تجعل الصحفيين والمراسلين الذين يقومون بالتغطية الإعلامية للبرلمان يشعرون بأنهم موضع احترام وتقدير لهم كمهنيين ومحترفين في مجال عملهم، وللدور الأساس والمهم الذي يلعبونه في العملية الديمقراطية، وعلى النائب أن يؤكد للصحفيين والمراسلين أنه كنائب في البرلمان يُقدر الأعمال التي يقومون بأدائها، وأن عملهم ليس سهلاً تماماً مثل عدم سهولة عمله، وأنه يتفهم الضغوط التي يتعرضون لها من قبل مشرفيهم تماماً مثل الضغوط المتصاعدة التي تمارس تجاه النائب من قبل (الرؤساء، والزملاء النواب، ورؤساء الأحزاب، والناخبين، ورئيس الوزراء، والرأي العام، وعضوية دائرته الانتخابية والمسؤولين الحكوميين الآخرين، وغيرهم).

٣. إرساء علاقة ودية مع الصحفيين البرلمانيين:

من الملاحظ أن الصحفيين والمراسلين الجيدين يرغبون دوماً بأن يكونوا أصدقاء لنواب البرلمان، لأن ذلك يسهل عليهم التوجه إليهم بالأسئلة وطلب المعلومات، فينبغي تطوير علاقة بناءة وودية بين الطرفين، رغم أن اختلاف مسؤوليات وأدوار البرلمان ووسائل الإعلام يجعل من الصعب تطوير علاقة صداقة شخصية بين الصحفيين البرلمانيين والنواب إلا في نطاق محدود.

٤. التعامل الإنساني مع الصحفي البرلماني:

التعامل بإنسانية مع الصحفي البرلماني يجعل النائب يُقدر ويتفهم أن من أهم المسؤوليات التي يتحملها الصحفي البرلماني هي تلك المتعلقة بعمله ووظيفته مع الصحيفة أو محطة الإذاعة أو التلفزيون أو القناة الفضائية أو أي وسيط إعلامي آخر، والتي لديها قضايا وأمور محددة تريد من المراسل التركيز عليها حسب سياستها التحريرية. والنائب كلما أحاط وتعرف أكثر عن المراسلين والصحفيين المعنيين بتغطية البرلمان، كلما أصبح أفضل وأقدر على التعامل والتجاوب معهم عندما يوجهون إليه الأسئلة، وكلما كان مطلعاً أكثر على الاهتمامات ووجهات النظر الشخصية للصحفيين الذين يكتبون عن البرلمان، كلما صار النائب أكثر قدرة على الحصول منهم على تغطية أفضل حول قضية أو مسألة محددة مهمة له.

وبما أن العملية البرلمانية من أكثر نواحي الديمقراطية تعقيداً وأقلها فهماً، ولاسيما في الديمقراطيات الجديدة مثل الدول النامية، قد نتوقع أحياناً من الصحفيين والمراسلين المعنيين لتغطية أخبار البرلمان فهماً سطحياً لإجراءات وعمليات البرلمان المعقدة، والتي تعتبر أحياناً مرهقة وفي أغلب الأحيان مشوشة حتى للنواب الجدد أنفسهم، لأن الفهم والاستيعاب الكامل للعمل الذي يجري داخل العملية البرلمانية يمكن أن يتحقق فقط من خلال الملاحظة الدقيقة والقريبة جداً من البرلمان لمدة طويلة، وحتى من خلال المشاركة الفعالة والمباشرة.

لذا فمن مصلحة الجميع - البرلمان ووسائل الإعلام والجمهور - مساعدة الصحفيين البرلمانيين في تطوير فهم أفضل لكيفية وطرق عمل البرلمان، عبر التدريب والمشاركة في حلقات النقاش وورش العمل البرلمانية، وسينعكس أثر هذا التدريب فهماً وتقديراً مكتملاً أكثر حول عمل البرلمان، وسيبتدى تطوراً ملحوظاً في جودة ودقة التقارير التي يقومون بإعدادها.

٦. تزويد الصحفيين البرلمانيين بأكبر قدر ممكن من المعلومات:

تزويد الصحفيين والمراسلين بأكبر قدر ممكن من المعلومات والمساعدة لا يعني أنهم لن يقوموا بمراجعة وتفحص كل وثيقة وكل إفادة توفرها له، بشكل دقيق وعناية فائقة. لكن الصحفيين والمراسلين يقدرون دائماً أي مساعدة يمكن أن تجعل عملهم أكثر سهولة من خلال تمكينهم تجنب بذل جهود تستغرق وقتاً طويلاً في الحصول على المعلومات، وأحياناً، قد ينعكس هذا التقدير في تقرير المراسل للصحيفة أو لمحطة الإذاعة أو التلفزيون.

٧. التخلي عن افتراض أن كل شيء تقوله للمراسل «سوف يكون للنشر»:

يحترم الصحفيون والمراسلون الجيدون وبشكل قوي قواعد وأخلاق مهنة الصحافة، ويمكن عادة الوثوق بهم بأن لا يقتبسوا أو ينسبوا بياناً أو عبارة إلى شخص إذا قيل لهم منذ البداية أن هذه الكلمات «ليست للنشر» أو «لا يجوز أن تنسب». ولكن في الديمقراطيات الجديدة في مثل دولنا النامية التي ليست لديها تقاليد عريقة وطويلة في حرية الصحافة، قد يكون فيها الصحفيون والمراسلون شباباً قليلي التجربة والمرس، فقد تكون هناك إمكانية لأن يكون لدى ذلك الصحفي فهم واستيعاب كامل للقواعد والمعايير الأخلاقية لمهنة الصحافة، أو قد يهمل ببساطة ما قاله النائب بأن تلك الملاحظة «ليست للنشر». فأفضل طريقة لتجنب حدوث مثل هكذا موقف محرج هو أن تفترض كنائب أن كل ما تقوله أو تصرح به في حضور أحد العاملين في وسائل الإعلام هو «لنشر».

٨. على النائب أن يأخذ دائماً فترة للتفكير قبل التحدث إلى أحد العاملين في الإعلام، وقبل أن يجيب النائب على أي سؤال يطرحه عليه أحد الإعلاميين، فعليه أن يفكر أولاً وبسرعة: «كيف سيبدو ما أخطت لقله جيداً في صفح الغد، أو كيف سيكون رد فعل ما أقوله في التلفزيون أو في محطة الإذاعة الليلية؟».

كما أنه من المهم بشكل خاص أن يختار النائب وينتقي الكلمات بعناية خاصة عند الرد والإجابة على أي سؤال يطرحه عليه مراسل محطة التلفزيون أو الإذاعة لأن تقارير التلفزيون والإذاعة مختصرة وموجزة جداً، وما يتم مشاهدته أو سماعه أو قراءته في البث التلفزيوني والإذاعي ليس إلا جملاً قليلة جداً، غالباً ما يتم اختيارها من قبل المراسل من ضمن جمل طويلة جداً كان النائب قد أدلى بها. وقد يركز التلفزيون والإذاعة على

«مقاطع» تبدو مثيرة واستفزازية، ويقوم المرسلون عادة وفي معظم الأحيان باختيار ذلك الجزء بشكل خاص من كلام النائب، والذي يشعرون أنه يلبي هذا الشرط.

٩. قبل التحدث إلى صحفي برلماني على النائب أن يفكر فيما إذا كان هناك مستمع أو شخص محدد سيوجه له ما تخطط لقلوه، فقد يكون هناك مجموعة محددة أو شخص محدد - رئيس البرلمان، نائب آخر، رئيس الوزراء، أو مؤسسة غير حكومية تقصدها العبارة التي ستقولها. وإذا كان الأمر كذلك، فحاول أن تفصل ما تقوله للمرسل بحيث تقصد به ذلك الشخص أو الجهة على وجه الخصوص.

١٠. على النائب أن يفكر في الرسالة التي يريد نقلها ثم لا يحدد عنها، فالنائب يجب أن يقول ما يجب قوله فقط، ويجب أن يركز هدفه دائماً على تلك الرسالة والتشبهت بها، وأن يقاوم الجهود التي يبذلها الصحفي أو المرسل في تحويل تركيزه عن الرسالة التي يقصد توجيهها.

١١. عدم المبالغة في رد الفعل نحو قصة محرجة أو تصريح جرى التعامل معه بشكل غير متوازن فيما أدلى به النائب للصحيفة، أو في تقرير محطة الإذاعة أو التلفزيون، فالملطوب من النائب أن يوازن بين الفوائد والأضرار التي يمكن جنيها وتكبتها على المدى طويل الأجل نتيجة هذا الرد، فالتفكير بترو، وبشكل حصيف يمكن أن يقنع الجميع بأنه من الأفضل عدم قول شيء، وأن تُترك القصة تموت من تلقاء نفسها.

١٢. الابتعاد عن خداع أو تضليل الصحفي البرلماني عن قصد، حتى لا تسوء علاقة النائب مع الإعلام. فلا يشعر الصحفيون البرلمانيون أن النائب يخدعهم أو يحجب عنهم معلومات بهدف تحويل أنظارهم وانتباههم عن القضية أو المسألة المطروحة، الثقة في النائب كشخص وفي البرلمان كمؤسسة ويصبحون متشككين فيها.

× تطوير الإعلام البرلماني.. آليات مقترحة:

الرهان على تطوير أداء الإعلام البرلماني يقتضي تدشين أدوات عمل عديدة بهدف مواكبة المستجدات على الساحة، وهذه الأدوات تتطلب من القائمين على وسائل الإعلام المختلفة انتهاز آلية عمل جديدة تركز على أهداف محددة تحقق نتائج أفضل في بناء الصورة الذهنية للثقافة البرلمانية عند المتلقين وتنهض بها، وهي كالتالي:

- النشر التوثيقي المباشر والتحليلي لحقائق الموضوعات المطروحة على الساحة البرلمانية، بكافة مجالاتها السياسية والاجتماعية والنيابية المدعمة بالأدلة والبراهين.
- توليد أجواء الحوار والنقاش والتشاور حول قضايا المجتمع الحيوية جميعها دون استثناء، واستنهاض واسع لجميع فئات المجتمع على اختلاف أطرافهم للمشاركة بالحوارات البناءة في قضايا البرلمان والمواطن.

- تطوير وسائل المتابعة لآخر التطورات على الساحة المحلية والعربية والدولية وتحليلها والكشف عن ملامساتها وتفصيلها وتطوراتها.
- توجيه الهيئات الحكومية والأهلية للقيام بدورها في حماية القانون والحقوق والحريات الخاصة والعامّة.
- تعزيز دور الهيئات الحكومية والأهلية المعنية بالمراقبة والمساءلة.
- المساهمة في دعم الرأي العام بما يضمن احترام السلطة لإرادة الجمهور ومصالحهم وقضاياهم وحقوقهم.
- تعزيز مبادئ ثقافة حرية التعبير عن الرأي وممارسة حرية التعبير المسؤول باعتبارها من الأسس الضرورية لإيجاد إعلام حر ومستقل في البلاد.
- المشاركة في الجهود الرامية إلى إلغاء القوانين والتشريعات واللوائح المقيدة للحريات بالوسائل السلمية والقانونية.
- تعزيز أدوات الرصد ومراقبة لكل ما من شأنه خرق مبادئ حرية التعبير عن الرأي من وقائع وتشريعات وسياسات، وكذلك رصد ومراقبة التطورات الإيجابية التي من شأنها تطوير الأداء الديمقراطي.
- المشاركة في دعم ومساندة الصحفيين البرلمانيين خصوصاً و الصحفيين الآخرين والنقابات والمؤسسات الصحافية والإعلامية والمؤسسات المدنية الذين يواجهون ضغوطاً من جميع الأنواع بسبب ممارستهم لحرية التعبير عن الرأي، وكذلك ضد الضغوط والاعتداءات التي يمكن أن تأتي من الأحزاب السياسية أو جماعات رجال الأعمال.

ونظم الإتصال والإعلام البرلماني هي بمثابة البنية التحتية لتنمية المؤسسة البرلمانية ولإنعاش المناخ الديمقراطي في المجتمع، نظراً للطبيعة الجماهيرية للبرلمان وأدواره النيابية ومهامه التشريعية والرقابية، مما يتطلب العمل على السعي لإيجاد آليات جديدة لتطويره والنهوض به، ومنها:

١- تخصيص قناة للإعلام البرلماني للمساهمة في تطوير ثقافة المجتمع الديمقراطي ومؤسساته، وأولى مهام القناة البرلمانية هي العمل على توسيع مصادر المعلومات وتطوير المعرفة بالحياة النيابية، وذلك من خلال تدوير البيانات ونشرها، وبخاصة ما يتعلق بالبيانات الهامة في العمل البرلماني، كالحقائق والإحصاءات والأرقام، وتطوير السلوك النيابي للأعضاء، الأمر الذي يتطلب توفير معارف ومعلومات متجانسة وهادفة ومرتبطة بإطار ثقافي ملائم للبيئة المجتمعية بهدف تنمية وتطوير السلوك الاجتماعي للفرد.

كما ستضطلع هذه القناة بدعم القرار التشريعي كمصدر لدعم القرار، إذ تفتح النقاش وتتيح تبادل الآراء والخبرات حول المسائل المثارة أمام البرلمان قبل اتخاذ القرار. لذا، فالهدف الإستراتيجي من تطوير القناة البرلمانية هو توفير فرصة إضافية لاستخدام المعلومات والتحليل العلمي في عملية صنع القرار البرلماني،

من خلال تقنية حديثة قادرة على جذب مستخدمين جدد لها، وذات إمكانيات كبيرة لعرض المعلومات على المستخدمين وتحديث بياناتها.

٢- تطوير نظام مؤسسي لعلاقات النائب بالدائرة الانتخابية بخاصة والمواطنين بعامة عبر الإعلام البرلماني؛ فتتعاون السلطة التنفيذية مع البرلمان في مجال إتاحة المعلومات؛ وضرورة الاهتمام المكثف بتنظيم زيارات خارجية للأعضاء إلى برلمانات العالم وإلى المنظمات الدولية؛ والاهتمام بعقد مؤتمرات إقليمية ودولية لمناقشة القضايا الفنية والإدارية في المؤسسات البرلمانية، فضلاً عن تنظيم المؤتمرات البرلمانية؛ والأخذ في نظام الحقيبة الوزارية للشؤون البرلمانية.

٣- التطوير المؤسسي للبرلمانات والعمل على مأسسة الإعلام البرلماني داخلها، من خلال تطوير اللوائح أو أنظمة العمل الداخلية للبرلمان لتتيح قدرأً من التوازن بين التيارات السياسية والحزبية في إدارة فعاليات المجلس، وتطوير نظام اللجان وتحديث أداؤها الفني وتفعيل دورها في المبادرة التشريعية والدراسة المتأنية للتشريعات، وإنشاء وتطوير إدارة متخصصة للتدريب في الجهاز الفني في البرلمان؛ والاهتمام بالمعلوماتية والتدريب الإعلامي والدعم التقني وأتمتة العمل البرلماني.

٤- الانفتاح على مراكز البحوث وبيوت الخبرة ومؤسسات المجتمع المدني، وإنشاء نواة بحثية برلمانية وطنية، ثم على المستوى العربي لتكون بداية لتطوير بيوت خبرة عربية في العمل البرلماني، وتأسيس تقرير عربي موحد حول الحياة البرلمانية العربية، والتوسع في أنشطة الإعلام البرلماني العربي.<sup>١٢</sup>

#### خاتمة:

للبرلمان طبيعة خاصة تختلف عن باقي مؤسسات المجتمع المدني وأجهزة الدولة فهو المسؤول عن التشريع والرقابة على الجهاز التنفيذي، وهذا الدور يفرض على الإعلام البرلماني تطوير أدواته، لأن هذه الأدوات الإعلامية تعتبر البنية الأساسية لإنعاش المناخ الديمقراطي، وعليه فقد بات من الضروري بلورة إعلام برلماني متخصص في تناول الشأن البرلماني، ليكون منبراً حراً وصادقاً لخدمة العملية الديمقراطية وتطويرها والنهوض بالحياة النيابية.

كما إن أي مجتمع لا يمكن أن يكون ديمقراطياً إلا إذا كانت وسائل الإعلام والمجتمع بجميع مكوناته تعرف حقوقه وواجباته ومسؤولياته، وملتزم بالقانون ويحترم ويقبل الرأي والرأي الآخر، وله كامل الحرية في إبداء وجهة نظره المسؤولة دون وجل أو خوف أو ضغط، مع المحافظة على احترام حقوق الآخرين وسمعتهم، وحماية أمن البلاد ووحدته الوطنية، أو النظام العام أو المصلحة العامة أو الآداب العامة.

فأساس المجتمع الديمقراطي هو الإعلام الحر الذي يشكل أداة البناء والنقد والتوعية، وهو سلاح الحوار ومحوره، وهو أفضل السبل وأقواها لتحقيق مجتمع ديمقراطي يدافع عن حقوق الإنسان ويصونها، منفتح على الأفكار والآراء المتعددة والمتباينة معمم لمفهوم الديمقراطية، مرسخٌ لممارستها.

فمن لوازم تعميق الثقافة الديمقراطية والبرلمانية، وتعريف المواطنين بأهمية البرلمان ودوره كمؤسسة تمثل مصالحهم، ورفع مستوى الوعي الجماهيري بضرورة المشاركة في الانتخابات البرلمانية، ومتابعة أعمال البرلمانات استخدام وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، والإهتمام الجاد بتقديم الدعم الإعلامي للبرلمانيين، والبرلماني للإعلاميين، من خلال رؤى متقدمة.

تناولنا من خلال هذا البحث الإعلام البرلماني وأهميته للحياة البرلمانية، وأهداف ووسائل الإعلام البرلماني، وواقعه ودوره التثقيفي والرقابي والتقويمي، والتحديات التي تواجه الإعلاميين البرلمانيين، والصورة الذهنية للثقافة البرلمانية وسبل بنائها لدى المتلقين، وتجليات الإعلام الجديد في الإعلام البرلماني من الموقع الإلكتروني للبرلمان كنموذج.

كما تضمن البحث مقترحاً للموقع الإلكتروني الجيد للبرلمانات، وآليات مقترحة لتطوير الإعلام البرلماني، والسبيل لإعلام برلماني حيوي فاعل.

### توصيات البحث:

- ١- توسيع وتنويع رصد التغطية الصحفية لأعمال البرلمان، وتعزيز دور الصحافة في إرساء ثقافة حرية التعبير عن الرأي باعتبارها من الشروط الضرورية لخلق إعلام حر ومستقل.
- ٢- تزويد النواب بالأجهزة والمهارات اللازمة لتسهيل اتصالهم بوسائل الإعلام المختلفة، سيما وسائل الإعلام الجديد والشبكات الإجتماعية .
- ٣- تزويد وسائل الإعلام بجداول أعمال جلسات البرلمان، وما يتعلق بها مسبقاً حتى يتسنى لوسائل الإعلام التغطية اللازمة، وتوفير البيئة المناسبة لمثلي وسائل الإعلام لضمان حسن عملهم داخل المجلس وتزويدهم بالمعلومات المطلوبة .
- ٤- التأكيد على ضرورة وجود إعلاميين متخصصين في الإعلام البرلماني والاهتمام بتأهيل الكوادر التي تعمل في هذا المجال وتطويرها، وتكوين جسم ناطق بإسمها ومدافع عن حقوقها، مثل: رابطة الصحفيين البرلمانيين بالسودان .
- ٥- إضفاء الطابع الإعلامي الحيوي على الصفحات الإلكترونية الخاصة بالبرلمانات العربية، وضمان التحديث اليومي لها .
- ٦- أهمية تشجيع الإعلاميين البرلمانيين وتدريبهم، وتمكينهم من مرافقة الوفود المشاركة في المؤتمرات البرلمانية



- للتغطية الإعلامية، واكتساب الخبرات والاحتكاك بالخبرات الخارجية في هذا المجال .
- ٧- ضرورة دعم قدرات إدارات الإعلام بالبرلمانات العربية في إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية والوثائقية والتعريفية والاهتمام بالأرشيف الإعلامي البرلماني، ووضع خطة إعلامية لكل برلمان تتناسب مع حجم الأعمال المناطة به ، مع توفير المتطلبات الضرورية لإدارات الإعلام وموظفيها والتجهيزات التقنية والمزايا الوظيفية اللازمة، مع التأكيد على أهمية الاستفادة من الإستشارات الإعلامية في عمل المجالس .
- ٨- تحسين العلاقة و تفعيلها بين البرلمانيين ومنظمات المجتمع المدني و التواصل مع هذه المنظمات و رموزها بمختلف الوسائل للتعرف على مشاكلها و مطالبها وإشراكها باقتراح الحلول المناسبة.
- ٩- إعداد برامج تلفزيونية خاصة موجهة إلى الشباب وعامة المواطنين لتعريفهم بالحياة البرلمانية و بحقوقهم وواجباتهم إزاء هذا الجانب من حياة الوطن، وجذبهم إلى المشاركة في الحياة العامة.
- ١٠- الاستفادة من استطلاع الرأي وقياسه في تطوير وتفعيل الإعلام البرلماني وإدارات الإعلام في البرلمانات، وتوسيع مجال مشاركة أعضاء المجالس البرلمانية في البرامج الإعلامية والندوات المفتوحة ، واللقاءات والإستشارات .
- ١١- التأكيد على أن تتضمن خطة التدريب لكل برلمان، أو مؤسسة صحفية دورات تدريبية في مجال الإعلام البرلماني سواء في الدول العربية راسخة الديموقراطية أو الدول ذات الخبرات العريقة في هذا المجال.

## الهوامش والمراجع:

- ١- د. حمود بن عبدالعزيز البدر، الإعلام البرلماني - تجربة مجلس الشورى بالملكة العربية السعودية ( ورقة عمل ) بتصريف.
- ٢- عيسى عبد الباقي موسى، (٢٠٠٨)، «إنعكاسات الخطاب الصحفي على تشكيل اتجاهات الجمهور العام والنخبة في مصر نحو قضايا الإصلاح السياسي: دراسة مسحية»، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة: كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، قسم الصحافة والإعلام.
- ٣ - الصحافة البرلمانية: نزعات رقابية وتفاوت في المتابعة، تحقيق بمجلة السجل، عمان، العدد ٤٥، بتاريخ: ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨.
- ٤- ورقة عمل: دور الإعلام في العمل البرلماني، إصدار مركز البحوث والدراسات بالبرلمان البحريني، موجودة على الرابط التالي: <http://www.nuwab.gov.bh/StudiesCenter/Show.aspx?ArticleId=٣٢>، بتاريخ: ٢٧ / ٠١ / ٢٠٠٧ .
- ٥- نشوة سليمان محمد عقل، (٢٠٠٦)، «المعالجة التليفزيونية والصحفية للقضايا البرلمانية ودورها في تشكيل اتجاهات الجمهور العام نحو البرلمان»، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة: كلية الإعلام، جامعة القاهرة، قسم إذاعة.
- ٦- ندى سليمان المطوع، سياسة الإعلام الاستباقي البرلماني، مقال بصحيفة الجريدة الكويتية، بتاريخ: ١٦ نوفمبر ٢٠١١ .
- ٧- عبد العزيز تركستاني، دور أجهزة العلاقات العامة في تكوين الصور الذهنية للمملكة، ورقة قدمت في المنتدى الإعلامي السنوي الثاني للجمعية السعودية للإعلام والاتصال، ٢-٥ أكتوبر ٢٠٠٤ .
- ٨- د. محمود يوسف، صورة المرأة المصرية في الأفلام السينمائية التي يقدمها التلفزيون، بحث منشور بالمجلة المصرية للبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، العدد العاشر، يناير- مارس ٢٠٠١.
- ٩- يسار فتحي كاسب ( باحث دكتوراه)، ورقة بعنوان الموقع الإلكتروني للبرلمان، أرشيف الكاتب.
- ١٠- ديفيد بي. أوغل، دليل التعامل البرلماني مع وسائل الإعلام، ترجمة: علي الصاوي، مؤسسة رؤساء المجالس التشريعية لصالح برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مايو ٢٠٠٤، موجود على الرابط: [www.eaddla.org/doc.٢٦\\_parlaman/.../peper](http://www.eaddla.org/doc.٢٦_parlaman/.../peper)
- ١١- نحو جدول أعمال لتطوير عمل المجالس العربية، إصدار: برنامج الامم المتحدة الانمائي، موجودة على الرابط: <http://www.undp-pogar.org/publications/legislature/lcpsa/section٤.html>
- ١٢- البيان الختامي للمؤتمر البرلماني الإقليمي حول تعزيز قدرات البرلمانين العرب، الجزائر ٢٠-٢٢ سبتمبر ٢٠٠٥ .

## اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفة نيويورك تايمز قبل الحرب الأمريكية على العراق (دراسة تحليلية)

أ. أحمد علي محمد زيدان

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الجنان - لبنان

### Abstract

The study aims at identifying New York Times Attitude in News Coverage during pre-US War on Iraq - October 20, 2002 to March 3, 2003. The study population consists of all the published topics in American New York Times in the duration October 20, 2002 to March 3, 2003. The sample of the study consists of (120) topic from the news texts and analysis and investigation and others from submitted topics in New York Times which related to study topic were selected randomly.

The study used content analysis style to reveals with topics content analysis. Frequencies, percentages were use for the concepts, significance and meanings that consisted in the study tool.

The study showed the following: that Iraq idea about Hiding weapons of mass destruction, its the direct inflammatory most frequent in the war on Iraq, where it got the highest frequency in each of the first three months, while the idea of human rights in Iraq as the most provocative idea indirectly during the study period.

### مقدمة:

إن قوة الإعلام لا تقل أهمية وخطورة عن القوة العسكرية، في العمل لتحقيق أهدافها الإستراتيجية النهائية، بل إن الإعلام هو من أهم أدوات الإستراتيجيات العسكرية الأساسية في العصر الحديث، ذلك لأنه يعتمد على الحرب النفسية والدعاية والترويج للأخبار، بشكل موضوعي أحيانا، وصولا إلى تغيير قناعات تؤمن بها الشعوب، وزعزعة ثقتها بنفسها وبحكامها وحكوماتهما، وإثارة الرعب والمخاوف حيال مستقبلهم، ودفعهم للبحث عن التغيير.

وقد تطور دور وسائل الاتصال بشكل لافت للنظر خلال العقود الأخيرة بسبب ثورة تكنولوجيا الاتصال وتساعد تأثيرها ما جعل العالم قرية صغيرة، وجاء هذا التطور تمشياً مع مقتضيات الحياة وتطور

العصر، حتى غدت بمثابة السلطة الرابعة، وتمارس نفوذاً في كثير من المجتمعات، وكان تطورها وتأثيرها واضحين وكبيرين في المجتمعات الديمقراطية، من خلال مضمون البرامج الإعلامية، والممارسة الديمقراطية التي تشجع الفرد على إبداء رأيه والدفاع عن حقه في ذلك.

يمكن القول إن العلاقة بين المشهدين السياسي والإعلامي، علاقة توحيدة مترابطة، أكثر مما هي علاقة جدلية، فالمشهد الأول يصنع السياسات ويصدر القرارات ذات العلاقة بحياة الناس، أما المشهد الثاني فيصيغها بطريقة رسالة إعلامية، ويتم نشرها وبثها إلى الرأي العام، باستخدام أساليب فن الإقناع المعروفة أو المبتكرة، وأن لأهمية التخطيط السياسي بعيداً عن التخطيط الإعلامي.

ويمكن قياس وتحليل ما تبثه أو تنشره وسائل الإعلام من خلال إيجاد العبارات التي تشير إلى وصف القضية موضوع البحث وتحليلها وسبر غورها بما يتماشى مع مقتضيات أساليب تحليل المضمون المتبعة في البحوث الاجتماعية والإعلامية على حد سواء بهدف معرفة اتجاهات هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، وموقفها من قضية معينة. وعملت هذه الدراسة على تحليل مضمون صحيفة نيويورك تايمز لمعرفة اتجاهات التغطية الإخبارية فيها قبل الحرب الأميركية (التحالف) على العراق، وتحديداً خلال الفترة من ٢٠ تشرين الأول أكتوبر ٢٠٠٢ إلى ٢٠ آذار مارس ٢٠٠٣.

تم تحليل مضمون مجموعة الموضوعات التي تم اختيارها وتحديدها، واستخراج مجموعة المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر وتحريض غير مباشر للحرب على العراق، والتي يمكن أن نستنتج من خلالها دور الصحيفة في توجيه القرارات السياسية، أو في تعبئة الرأي العام، وتكوين صورة سلبية عن العراق . المصطلحات المباشرة للتحريض على الحرب ضد العراق:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة خلال فترة الدراسة (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ آذار / مارس ٢٠٠٣)، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (١)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر الأكثر تكراراً خلال فترة الدراسة (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ - آذار / مارس ٢٠٠٣)

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر	الشهر
15%	10	إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل	تشرين الأول / أكتوبر 2002
24%	16	إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل	تشرين الثاني / نوفمبر 2002
15%	10	إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل	كانون الأول / ديسمبر 2002

17%	11	تحدي صدام للإرادة الدولية	كانون الثاني /يناير 2003
17%	11	قدرة العراق العسكرية	شباط /فبراير 2003
12%	8	قدرة العراق العسكرية	آذار /مارس 2003
100%	66	المجموع الكلي	

يظهر من الجدول (١) أن موضوعات الصحيفة المنشورة في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢ ركزت على إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل، إذ بلغت نسبته (٢٤٪) بتكرار بلغ (١٦). بينما ركزت موضوعات الصحيفة المنشورة في كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣ على تحدي صدام للإرادة الدولية حيث بلغت نسبته (١٧٪) بتكرار بلغ (١١)، وكان المصطلح الأكثر تكراراً في شهر شباط / فبراير ٢٠٠٣ قدرة العراق العسكرية، إذ بلغت نسبته (١٧٪) بتكرار بلغ (١١). وأخيراً كان أقل تكرار في شهر آذار / مارس ٢٠٠٣، وكان السبب الأكثر تكراراً في هذا الشهر قدرة العراق العسكرية بتكرار (٨) ونسبة بلغت (١٢٪) المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر للحرب ضد العراق:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

#### جدول رقم (٢)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر الأكثر تكراراً خلال فترة الدراسة (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢-آذار / مارس ٢٠٠٣)

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر	الشهر
24%	6	حقوق الإنسان في العراق	تشرين الأول / أكتوبر 2002
16%	4	رفض العراق للتحقيق من قبل مندوبي الأمم المتحدة	تشرين الثاني / نوفمبر 2002
		الحرب على الإرهاب	
20%	5	حقوق الإنسان في العراق	كانون الأول / ديسمبر 2002
12%	3	الحرب على الإرهاب	كانون الثاني /يناير 2003
16%	4	مستقبل الديمقراطية بالعراق	شباط / فبراير 2003
12%	3	حقوق الإنسان في العراق	آذار / مارس 2003
100%	25	المجموع الكلي	

يظهر من الجدول (٢) أن موضوعات الصحيفة المنشورة في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ قد ركزت على حقوق الإنسان في العراق، إذ بلغت نسبته (٢٤٪) بتكرار بلغ (٦)، بينما ركزت موضوعات الصحيفة المنشورة في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢ على رفض العراق للتفتيش من قبل مندوبي الأمم المتحدة بالإضافة إلى الحرب على الإرهاب، إذ بلغت نسبتهما (١٦٪) بتكرار بلغ (٤)، وكان السبب الأكثر تكراراً في شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢ حقوق الإنسان في العراق، إذ بلغت نسبته (٢٠٪) بتكرار بلغ (٥)، أما في شهر كانون الثاني / يناير ٢٠٠٣ فقد ركزت على الحرب على الإرهاب، إذ بلغت نسبته (١٢٪) بتكرار بلغ (٣)، وفي شباط / فبراير ٢٠٠٣ ركزت صحيفة النيويورك تايمز الأميركية على مستقبل الديمقراطية بالعراق حيث بلغت نسبته (١٦٪) بتكرار بلغ (٤)، وأخيراً كان أكثر الأسباب تكراراً في آذار / مارس ٢٠٠٣ هو حقوق الإنسان في العراق، إذ بلغت نسبته (١٢٪) بتكرار بلغ (٣)، وهنا نلاحظ أن هناك زيادة طردية بين استخدام المصطلحات تلك واقترب موعدها من الحرب على العراق إذ كلما اقتربنا من موعد شتّى الحرب زادت نسبة استخدام المصطلحات التحريضية المباشرة وغير المباشرة في الموضوعات الصحفية ذات العلاقة.

جدول رقم (٣)

مجموع المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال الفترة الدراسة (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ - آذار / مارس ٢٠٠٣)

النسبة	العدد	الوصف
14%	25	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر 2002
19%	35	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر 2002
16%	28	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر كانون الأول / ديسمبر 2002
22%	41	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر كانون الثاني / يناير 2003
13%	23	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر شباط / فبراير 2003
16%	28	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر آذار / مارس 2003
100%	180	المجموع

نلاحظ من الجدول السابق أنّ أكبر نسبة تكرار التي تعبر عن تحريض مباشر كانت (٤١) خلال شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢ تليها (٣٥) خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢، ويأتي بعدها (٢٨)

خلال شهري كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢ وآذار / مارس ٢٠٠٣، ثم (٢٥) خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ وفي المرتبة الأخيرة يأتي التكرار (٢٣) خلال شهر شباط / فبراير.

جدول رقم (٤)

مجموع المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال الفترة الدراسة (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ - آذار / مارس ٢٠٠٣)

النسبة	العدد	الوصف
32%	30	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر 2002
23.4%	22	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر 2002
19%	18	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر كانون الأول / ديسمبر 2002
9.6%	9	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر كانون الثاني / يناير 2003
9.6%	9	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر شباط / فبراير 2003
6.4%	6	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر آذار / مارس 2003
100%	94	المجموع

نلاحظ من الجدول أنّ أكبر نسبة تكرار للمصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كانت (٣٠)

خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢، يأتي بعدها (٢٢) خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢ و(١٨) خلال شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢، أما في شهري كانون الثاني / يناير و شباط / فبراير ٢٠٠٣ فقد كان التكرار (٩)، وأقل نسبة تكرار كانت (٦) خلال شهر آذار / مارس ٢٠٠٣.

وفيما يلي المصطلحات التحريضية التي تم التركيز عليها في الموضوعات المنشورة خلال الفترة من

تشرين أول أكتوبر للعام ٢٠٠٢ حتى آذار مارس للعام ٢٠٠٣ بالتفصيل لكل شهر:

أولاً: تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر والتي ركزت عليها المقالات خلال هذه الفترة كالآتي:

- المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي

تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (٥)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر
40%	10	إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل
20%	5	تصنيع الأسلحة في العراق
16%	4	حصول العراق على أسلحة نووية
12%	3	قدرة العراق العسكرية
4%	1	الإرهاب في العراق
4%	1	القاعدة في العراق
4%	1	تحدي صدام للإرادة الدولية
100%	25	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل كان من أكثر الأفكار التحريضية التي تكررت في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ بنسبة بلغت (٤٠٪)، وجاء في المرتبة الثانية تصنيع الأسلحة في العراق بنسبة بلغت ٢٠٪، أما حصول العراق على أسلحة نووية فقد جاء في المرتبة الثالثة بنسبة بلغت ١٦٪، وكانت قدرة العراق العسكرية في المرتبة الخامسة بنسبة تكرار بلغت ١٢٪، وأخيرا جاء كل من الإرهاب في العراق، و القاعدة في العراق، و تحدي صدام للإرادة الدولية بالمرتبة الأخيرة بنسبة تكرار بلغت ٤٪.

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

جدول رقم (٦)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر
20%	6	حقوق الإنسان في العراق
17%	5	رفض العراق للتفتيش من قبل مندوبي الأمم المتحدة
13%	4	الأوضاع الداخلية في العراق



13%	4	مستقبل الديمقراطية في العراق
10%	3	النفط في العراق
10%	3	ديكتاتورية النظام العراقي
7%	2	الحرب على الإرهاب
7%	2	الأحداث السياسية في العراق
3%	1	خطر العراق على دول الجوار
100%	30	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن حقوق الإنسان في العراق هي الفكرة التحريضية غير المباشرة الأكثر تكراراً في شهر تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢، إذ بلغت نسبة التكرار ٢٠٪ من مجمل الأفكار الأخرى، وجاءت في المرتبة الثانية رفض العراق للتفتيش من قبل مندوبي الأمم المتحدة بنسبة تكرار بلغت ١٧٪، وجاء في المرتبة الثالثة كل من الأوضاع الداخلية في العراق، ومستقبل الديمقراطية في العراق بنسبة تكرار بلغت ١٣٪، وجاء في المرتبة الرابعة كل من النفط في العراق، وديكتاتورية النظام العراقي بنسبة تكرار بلغت ١٠٪، وجاء في المرتبة الخامسة كل من الحرب على الإرهاب، والأحداث السياسية في العراق، بنسبة تكرار بلغت ٦٪، وأخيراً جاءت فكرة خطر العراق على دول الجوار بالمرتبة الأخيرة بنسبة تكرار بلغت ٣٪.

ثانياً: تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر وغير مباشر خلال هذه الفترة كالآتي:  
المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر:  
تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (٧)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر
45.7%	16	إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل
22.9%	8	قدرة العراق العسكرية

8.6%	3	حصول العراق على أسلحة نووية
8.6%	3	القاعدة في العراق
5.7%	2	تصنيع الأسلحة في العراق
5.7%	2	تحرير العراق
2.8%	1	تحدي صدام للإرادة الدولية
100%	35	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن أكثر المصطلحات التحريضية التي ظهرت في الموضوعات المنشورة في صحيفة نيويورك تايمز الأميركية هو إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل، إذ جاء بنسبة ٤٥,٧٪، بينما جاءت قدرة العراق العسكرية في المرتبة الثانية بنسبة ٢٢,٩٪، وكان حصول العراق على أسلحة نووية ووجود القاعدة في العراق المرتبة الثالثة بنسبة بلغت ٨,٦٪ لكليهما، وجاء في المرتبة قبل الأخيرة كل من تصنيع الأسلحة في العراق، وتحرير العراق بنسبة ٥,٧٪، أما في المرتبة الأخيرة فقد كان تحدي صدام للإرادة الدولية بنسبة بلغت ٢,٨٪ من مجمل الأفكار التحريضية التي ذكرت خلال تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢.

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

#### جدول رقم (٨)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر
18%	4	رفض العراق للتفتيش من قبل مندوبي الأمم المتحدة
18%	4	الحرب على الإرهاب
14%	3	خطر العراق على دول الجوار
14%	3	ديكتاتورية النظام العراقي
9%	2	الأوضاع الداخلية في العراق
9%	2	حقوق الإنسان في العراق
4.5%	1	علاقة صدام حسين بالقاعدة
4.5%	1	مستقبل الديمقراطية في العراق
4.5%	1	وضع الشيعة في العراق

الأحداث السياسية في العراق	1	4.5%
المجموع	22	100%

كان من أهم المصطلحات التحريضية للحرب ضد العراق خلال شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٢ هي رفض العراق للتفتيش من قبل مندوبي الأمم المتحدة بالإضافة لفكرة الحرب على الإرهاب، إذ بلغت النسبة على ذلك ١٨٪ لكليهما من مجمل الأفكار التحريضية غير المباشرة. وجاء في المرتبة الثانية كل من خطر العراق على دول الجوار وديكتاتورية النظام العراقي التي بلغت نسبة تكرارهما خلال هذا الشهر ١٤٪، أما الأوضاع الداخلية، وحقوق الإنسان في العراق، فقد بلغت النسبة ٩٪، وأخيراً جاء كل من ربط صدام حسين وعلاقته بالقاعدة ومستقبل الديمقراطية في العراق بالإضافة لوضع الشيعة في العراق والأحداث السياسية هناك بالمرتبة الأخيرة بنسبة تكرار بلغت ٤,٥٪.

وهذا يتفق مع دراسة جيلب (Gelb، ٢٠٠٩) التي أشارت إلى أنه في أثناء مناقشة الكونجرس الأمريكي لقرار الحرب كانت الصحف تردد مقولات الرئيس الأمريكي عن علاقة العراق بالإرهاب، وامتلاكه أسلحة دمار شامل

ثالثاً: كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر، ركزت عليها الموضوعات خلال هذه الفترة كالآتي:

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (٩)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر
36%	10	إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل
18%	5	تحدي صدام للإرادة الدولية
18%	5	قدرة العراق العسكرية
14%	4	تحرير العراق
7%	2	القاعدة في العراق

7%	2	تصنيع الأسلحة في العراق
100%	28	المجموع

يلاحظ من الجدول السابق أن معظم المصطلحات التحريضية المباشرة في الحرب على العراق تمحورت حول إخفاء العراق لأسلحة الدمار الشامل، إذ بلغت نسبة تكرار هذه الفكرة ٣٦٪ من مجمل الأفكار، تبعثها كل من تحدي الرئيس العراقي صدام حسين للإرادة الدولية، وقدرة العراق العسكرية، إذ بلغت النسبة ١٨٪. تلتها فكرة تحرير العراق بنسبة ١٤٪، وأخيرا القاعدة في العراق، وتصنيع الأسلحة في العراق بنسبة ٧٪ من مجمل الأفكار المتكررة في شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢.

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

جدول رقم (١٠)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر
28%	5	حقوق الإنسان في العراق
22%	4	الأوضاع الداخلية في العراق
17%	3	النفط في العراق
17%	3	الحرب على الإرهاب
11%	2	ديكتاتورية النظام العراقي
5%	1	أخرى
100%	18	المجموع

يلاحظ من الجدول السابق أن حقوق الإنسان في العراق هي الفكرة التحريضية الأكثر تكرارا في الحرب ضد العراق إذ تكررت بنسبة ٢٨٪، وجاءت فكرة الأوضاع الداخلية في العراق بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت ٢٢٪، بينما جاءت فكرة النفط العراقي والحرب على الإرهاب بالمرتبة الثالثة كأفكار تحريضية غير مباشرة بنسبة بلغت ١٧٪، تلتها ديكتاتورية النظام العراقي بنسبة بلغت ١١٪.

رابعاً: كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر التي ركزت عليها الموضوعات خلال هذه الفترة كالآتي:  
- المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر:  
تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (١١)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر
27%	11	تحدي صدام للإرادة الدولية
24%	10	إخفاء العراق أسلحة دمار شامل
12.1%	5	تصنيع الأسلحة في العراق
10%	4	القاعدة في العراق
7.3%	3	قدرة العراق العسكرية
7.3%	3	حصول العراق على أسلحة نووية
7.3%	3	تحرير العراق
5%	2	الإرهاب في العراق
100%	41	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن تحدي صدام للإرادة الدولية جاءت بأعلى تكرار بلغت نسبته ٢٧٪، بينما جاءت فكرة إخفاء العراق أسلحة دمار شامل بالمرتبة الثانية بنسبة بلغت ٢٤٪، وجاءت فكرة تصنيع الأسلحة في العراق في المرتبة الثالثة بنسبة بلغت ١٢,١٪، أما فكرة القاعدة في العراق فقد جاءت في المرتبة الرابعة بنسبة ١٠٪، وجاءت كل من قدرة العراق العسكرية، وحصول العراق على أسلحة نووية، وتحرير العراق بالمرتبة الخامسة بنسبة بلغت ٧,٣٪، وأخيراً جاءت فكرة الإرهاب في العراق بنسبة ٥٪.  
- المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

جدول رقم (١٢)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر كانون الثاني /يناير ٢٠٠٣

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر
33.3%	3	الحرب على الإرهاب
22.3%	2	حقوق الإنسان
11.1%	1	الأحداث السياسية في العراق
11.1%	1	الأوضاع الأمنية في العراق
11.1%	1	مستقبل الديمقراطية في العراق
11.1%	1	الأوضاع الداخلية في العراق
100%	9	المجموع

يظهر الجدول السابق أن فكرة الحرب على الإرهاب جاءت في المرتبة الأولى بنسبة بلغت ٣٣,٣٪، بينما جاءت فكرة حقوق الإنسان بالمرتبة الثانية بنسبة تكرار بلغت ٢٢,٣٪ وجاءت كل من الأحداث السياسية في العراق، والأوضاع الأمنية في العراق، ومستقبل الديمقراطية في العراق، والأوضاع الداخلية في العراق بالمرتبة الأخيرة بنسبة تكرار بلغت ١١,١٪.

خامساً: شباط / فبراير ٢٠٠٣:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر شباط / فبراير ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر التي ركزت عليها الموضوعات خلال هذه الفترة كالآتي:

- المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شباط / فبراير ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (١٣)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر شباط / فبراير ٢٠٠٣

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر
47.8%	11	قدرة العراق العسكرية
30.3%	7	تحدي صدام للإرادة الدولية
9%	2	الإرهاب في العراق
4.3%	1	القاعدة في العراق

4.3%	1	إخفاء أسلحة الدمار الشامل
4.3%	1	تحرير العراق
100%	23	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن الفكرة التحريضية الأكثر تكراراً للحرب على العراق هي قدرة العراق العسكرية، إذ بلغت نسبة تكرارها (٤٧,٨٪)، وجاءت فكرة تحدي صدام للإرادة الدولية بالمرتبة الثانية بنسبة تكرار بلغت (٣٠,٣٪)، وجاءت فكرة الإرهاب في العراق بنسبة تكرار بلغت ٩٪. أما فكرة القاعدة في العراق وإخفاء أسلحة الدمار الشامل وتحرير العراق فقد تساوت في تكراراتها ونسبها إذ بلغت ٤,٣٪.

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شباط / فبراير ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

جدول رقم (١٤)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر شباط / فبراير ٢٠٠٣

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر
44.44%	4	مستقبل الديمقراطية بالعراق
22.22%	2	الأوضاع الداخلية في العراق
22.22%	2	الحرب على الإرهاب
11.11%	1	خطر العراق على دول الجوار
100%	9	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن الفكرة التحريضية غير المباشرة مستقبل الديمقراطية في العراق جاءت في المرتبة الأولى بنسبة تكرار بلغت ٤٤,٤٤٪، وجاءت فكرة الأوضاع الداخلية في العراق والحرب على الإرهاب بالمرتبة الثانية بنسبة تكرار بلغت ٢٢,٢٢٪، وجاءت في المرتبة الأخيرة فكرة خطر العراق على دول الجوار بنسبة تكرار بلغت ١١,١١٪.

سادساً: آذار / مارس ٢٠٠٣:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في شهر آذار / مارس ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر التي ركزت عليها الموضوعات خلال هذه الفترة كالتالي:

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في آذار / مارس ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر كالتالي:

جدول رقم (١٥)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر خلال شهر آذار / مارس ٢٠٠٣

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض مباشر
29%	8	قدرة العراق العسكرية
25%	7	الإرهاب في العراق
25%	7	تحرير العراق
21%	6	تحدي صدام حسين للإرادة الدولية
100%	28	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن قدرة العراق العسكرية هي أكثر الأفكار التحريضية المباشرة تكررًا في شهر آذار / مارس ٢٠٠٣ للحرب على العراق، إذ بلغت نسبة تكرارها (٢٩٪) بتكرار بلغ (٨)، وجاء في المرتبة الثانية كل من الإرهاب في العراق، وتحرير العراق بنسبة تكرار بلغت (٢٥٪)، وأخيرا جاءت فكرة تحدي صدام حسين للإرادة الدولية بنسبة تكرار بلغت (٢١٪).

– المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر:

تم تحليل المضمون للموضوعات المنشورة في آذار / مارس ٢٠٠٣، وقد كانت المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر كالتالي:

جدول رقم (١٦)

المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر خلال شهر آذار / مارس ٢٠٠٣

النسبة	التكرار	المصطلحات التي تعبر عن تحريض غير مباشر
50%	3	حقوق الإنسان في العراق
16.6%	1	الأوضاع الداخلية في العراق
16.6%	1	مستقبل الديمقراطية في العراق
16.6%	1	النفط في العراق
100%	6	المجموع

يظهر من الجدول السابق أن حقوق الإنسان هي الفكرة الأكثر تكرارًا، إذ بلغت نسبة تكرارها (٥٠٪) من مجمل الأفكار التحريضية غير المباشرة خلال شهر آذار / مارس ٢٠٠٣، وجاء في المرتبة الثانية والأخيرة كل من الأوضاع الداخلية في العراق، و مستقبل الديمقراطية في العراق، والنفط في العراق بنسبة بلغت ١٦,٦٪ لكل منها.



### ٣- الاستنتاجات والتوصيات:

استناداً إلى نتائج الدراسة، فإن الباحث يوصي بما يلي:

- ١ - توسيع استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات الإعلامية على مستوى الوطن الواحد، وتعميمها على مستوى الوطن العربي، وصولاً إلى تحقيق صناعة إعلام عربي مؤثر وقادر على مواجهة تحديات العولمة، «الأسرلة» التأثير الإسرائيلي على الإعلام الدولي، و«الأمركة» التأثير الأمريكي على الإعلام الدولي، والمساهمة في تحصين النشء العربي من مخاطر تلك العولمة على الشخصية العربية الإسلامية وحمايتها.
- ٢- دعوة وسائل الإعلام العربية إلى التنبيه لقضية في غاية الأهمية، وهي استخدام اللغة والمفردات والكلمات الإيحائية التي يستخدمها الإعلام الغربي، ووكالات الأنباء العالمية، وعدم اجترار ماتبته أو ما ترده من مصطلحات لا تخدم مصالحنا، وقد تعطي معاني عكس المعاني التي نتوخاها نحن، وتؤثر سلباً في قنوات النشء، والأجيال الصاعدة حيال قضايانا المصيرية، ومن تلك المصطلحات التي يجب على وسائل الإعلام العربية التنبيه لها، على سبيل المثال لا الحصر:
  - × استخدام مفردة المقاومين بدلا من الإرهابيين أو المتمردين، لأن الذي يدافع عن وطنه ضد الاحتلال ليس إرهابياً، وهجمات المقاومين بدلا من أعمال العنف أو اعتداءات المتمردين، وقوات الاحتلال بدلا من قوات التحالف، والجماعات الإسلامية بدلا من العناصر الأصولية أو المتطرفة .. وهكذا.
- ٣- إجراء المزيد من دراسات تحليل المحتوى، وتوسيع قاعدة بحوث الدور والأثر المتعلقة بالمؤسسات الإعلامية الغربية عامة والأميركية خاصة، للوقوف على مدى موضوعيتها من القضايا العربية، وتحديد وسائل الرد على تلك الوسائل باستخدام أسلوب البحث العلمي، ذلك أن البحث العلمي يعمق المعرفة، ويحمل في ثناياه حوافز وأسباب التغيير.
  - كما أن غياب بحوث الدور والأثر ودراسات تحليل المحتوى يؤدي إلى غياب نظريات عربية في مجال الاتصال.
- ٤ - توجيه القطاعات الاقتصادية ورأس المال الوطني والعربي، وتحفيزها للاستثمار في قطاع الإعلام والنشاطات المتعلقة بهذا القطاع، وصولاً إلى إيجاد قوة عاملة مؤهلة ومدربة على العمل الإعلامي، وقوة أخرى في مجال الهندسة ونظم التشغيل الحديثة والمستوحاة من ثورة الاتصال والمعلوماتية المستخدمة في إدارة هذا القطاع الحيوي، لتحسين مجتمعاتنا من مخاطر الاستراتيجيات الإعلامية للشركات المتعددة الجنسية والعابرة للقارات.
- ٥ - تشجيع تأسيس تعاونيات إعلامية وطنية مستقلة « تجمعات إعلامية مدنية» بعيدة عن التمويل الأجنبي، لزيادة الوعي المجتمعي بخطر الرسائل الإعلامية الموجهة إلى مجتمعاتنا العربية من قبل وسائل الإعلام الغربية، كما أن من شأن تلك التعاونيات المساهمة في تعزيز برامج التنمية للمجتمعات المحلية في بلدانها، وتوفير فرص عمل في تلك المجتمعات في قطاع الإعلام والاتصال.
- ٦ - الاهتمام بدراسات تأثير تطور وسائل وتقنيات الاتصال، وما يرافق ذلك من استخدام الشبكة العنكبوتية

«الإنترنت» واستخدام الفوتوشوب، والمواقع الإعلامية الإلكترونية التي يفضلها الشباب، هذا التطور يستدعي عمل دراسات معمقة حول الآثار المستقبلية لتلك الوسائل في النشء والشباب وسلوكياتهم وعلى النظام القيمي في المجتمع من جهة، وأثرها في الصحافة المكتوبة، ومضامين الرسالة الإعلامية من جهة أخرى.

## الهوامش والمراجع:

### المراجع العربية

١. إبراهيم، عزت، (٢٠٠٩)، الصورة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية بين إدارة بوش وإدارة أوباما (دور وسائل الإعلام في تشكيل صورة أمريكا). كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
  ٢. استبرق، فؤاد وهيب، (٢٠٠٩)، « المعالجة الإعلامية للاحتلال الأمريكي للعراق، تحليل مضمون مجلة نيوزويك - النسخة العربية». جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمّان.
  ٣. الأسمر، فوزي، (٢٠٠٦)، صحيفة الحقائق، ٣ / ٢٧ / ٢٠٠٦.
  ٤. حجاب، محمد منير، (١٩٩٨)، الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثاً. مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع.
  ٥. حجاب، محمد، (٢٠٠٤)، المعجم الإعلامي، ط١، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
  ٦. حمادة، بسيوني إبراهيم، (١٩٩٣)، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
  ٧. الدليمي، كامل كريم عباس، (٢٠٠٨)، اتجاهات التغطية الإخبارية لصحيفتي الرأي والعرب اليوم إزاء الاحتلال الأمريكي للعراق. عمان، جامعة الشرق الأوسط، عمّان.
  ٨. زهران، حامد، (١٩٨٢)، علم النفس الاجتماعي، ط٧. القاهرة: عالم الكتب.
  ٩. شلبية، محمود إبراهيم، (١٩٩٩)، محاضرات غير منشورة، قسم الإعلام، جامعة اليرموك وجامعة قطر ١٩٩٨ م ١٩٩٩ م.
  ١٠. عبد المعز، سالي، (٢٠٠٩)، لماذا أخفقت صحافة أمريكا في تغطية حرب العراق!.. جريدة الإيلاف
- <http://www.elaph.com/Web/NewsPapers/2009/7/457685.htm>
١١. القيم، كامل، (٢٠٠٧)، دور الإعلام والعلاقات العامة في تدعيم الاحتلال الأمريكي للعراق، الحوار المتمدن - العدد: ٢٠٤٠ <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=109236>
  ١٢. ماضي، محمد، (٢٠٠٩)، الإعلام الأمريكي ودور اللوبي الإسرائيلي في الحرب على لبنان. ندوة «مركز الحوار العربي في واشنطن».

المراجع الأجنبية

1. Gelb,leslie, (2009), Mission Not Accomplished, Journal of Democracy, June 15.
2. Gelb,leslie, (2009), Mission Not Accomplished, Journal of Democracy, June 15
3. Kolmer,Christian, (2009), Framing the Iraq War, American Behavioral Scientist, Vol. 52, No. 5, 643-656.
4. Kull, Steven, (2003), Misperceptions, the Media and the Iraq War. Program on International Policy Attitudes (PIPA).
5. Maeshima, K. ,(2008), «Japanese and U.S. Media Coverage of the Iraq War: A Comparative Analysis» Paper presented at the annual meeting of the WESTERN POLITICAL SCIENCE ASSOCIATION, Manchester Hyatt, San Diego, California Online <PDF>. 2009-05-23 from [http://www.allacademic.com/meta/p238104\\_index.html](http://www.allacademic.com/meta/p238104_index.html).
6. Naveh, Chanan, (2002), The Role of the Media in Foreign Policy Decision-Making: A Theoretical Framework. Conflict & communication, Vol. 1, No. 2.

## قراءة حول المتغير الثقافي في الثورات العربية\*

د. مصباح الصمد

كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

«أنا الحق»، قالها الحلاج يوماً في حال عشق إلهي. دفع حياته ثمناً لها ولبضع عبارات شبيهة بها من قاموس الصوفية، وكان قبل إعدامه قد رزح في السجن سنين طويلة عجافاً، تُرى هل كان يدور في خلد «الحاكم بأمره» أنّذ أنه ينفذ بذلك شرع الله أم شرعه هو؟ قد يكون سؤالاً سخيفاً لكونه لا يسلم بأن الشرعية مستمدة من الشريعة وبأن السلطان ظل الله على الأرض. ثم ما كان يدور في خلد أئمة السنة والشيعة الذين كانوا، كل من جهته وعلى طريقته، يوغرون صدر الخليفة العباسي ضد هذا الخارج عن كثير من مقولات الفسطاطين؟

لقد كانت خطيئة الحلاج المميّزة أنه قال ما اعتُبر خروجاً على الثقافة السائدة واستفزازاً لحراس الهيكل وتحدياً لمشيئة الحاكم بأمر الله.

لكن ما علاقة ذلك بالربيع العربي والمتغيرات الثقافية المرتبطة به؟ يمكن استبدال نموذج الحلاج بالسهروردي أو المنتبي أو ابن المقفع، أو أيضاً بسليم اللوزي أو رياض طه أو حمزة الخطيب أو إبراهيم القاشوش لتصبح الصورة أوضح وأقرب.

واحد من ضحايا الخروج على الثقافة السائدة كان الحلبي عبد الرحمن الكواكبي صاحب جريدتيّ الشهباء والاعتدال الذي اغتيل بالسم، وهو مؤلف كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد الذي يستعرض فيه الممارسات الاستبدادية، الفردية والجماعية، في مجالات الدين والعلم والمجد والمال والأخلاق والتربية والترقي، تلك الممارسات التي تتجسد في قوة سياسية «تجعل القوى الأخرى مجرد توابع تتعاون معها للحفاظ على مكتسباتها من وجود واقع فاسد». أما مصارع الاستعباد فهي برأيه المساواة والعدالة والحرية والشورى الدستورية.

في إطار ندوة بعنوان: «قراءة في مسارات الربيع العربي / معوقات التغيير»، معرض بيروت الدولي للكتاب السادس والخمسين - مركز «بيال»، بيروت - لبنان - ١٣ / ١٢ / ٢٠١٢.

لم تكذ تمضي بضع سنين على مصرع الكواكبي حتى نشبت الحرب العالمية الأولى واندلعت الثورة البلشفية في الاتحاد السوفياتي وابتدأت حركات التحرير تتجسد في البلدان العربية، لكن دون طائل، ثم كانت الحرب الثانية وما تلاها من توالي إعلانات استقلال دول المنطقة التي نغصها وهزّ كيائها زرع إسرائيل في أرض فلسطين. ثم توالى «الثورات» في عدد من الدول العربية. أرادت أن تعمّد نفسها باسم الثورات مع أنها لم تكن سوى انقلابات قامت بها ثل من جيوش تلك البلدان. وبقدرة قادر شطب مفهوم تداول السلطة من قاموس من امتك ناصية القوة السياسية في أنظمة تلك الثورات فأصبح القائد الملهم والسلطان الأوحّد الذي لا يشغله سوى همّ واحد: أن يبقى حيث هو إلى الأبد، بل «إلى ما بعد الأبد» (ما زالت أصداء تلك الجملة ترن في آذاننا وتمثل في أنظارنا). وفي سبيل ذلك حرص كل منهم على إنشاء منظومة ثقافية متكاملة غايتها التسبيح بحمد السلطان وخلق أجواء الترغيب والترهيب والعمل على جعل الفكر «مُدوراً كحدوة الحصان، مسطحاً كحدوة الحصان»، حسب قول نزار قباني، ودفع الناس إلى التكرار الذي يعلم الشطار: «أنا ما بخاف إلا من ربي ومن المخابرات» بكميديا سوداء تدعي النقد الاجتماعي ولكنها تنذر من له رأس يفكر ويتدبر الأمور. وإمعاناً من تلك الأنظمة في الإمساك بتلابيب العقول وضبط حركة الألسن والشفاه على طاعة الله والرسول وأولي الأمر على وجه الخصوص، جعلت الطريق الوحيد الآمن والسالك أمامهم هو طريق الممارسات الدينية، سعياً إلى جعل الدين وسيلة استلاب وإلى الحؤول دون بلوغ المعارف العلمية والفلسفية والفكرية الراهنة. لكنها لم تنتبه على أنها كانت بذلك تربي وتسمن عدواً شرساً سيكون لها بالمرصاد.

في موازاة ذلك كانت أوروبا تضح بثورات متسارعة متلاحقة في مختلف ميادين العلم والفن والفكر والتكنولوجيا. فرويد وبيكاسو وميرلو-بونتي وهايدغر وأينشتاين وليفي-ستروس وميشال فوكو وأميرتو إيكو، ثم الماركسية والاشتراكية والوجودية والدادائية والسريالية والفنون والآداب الجديدة من رواية ومسرح وشعر وعمارة ورسم ونحت وموسيقى. عالم يغلي فتنفجر منه براكين معرفية تقلب موازين البديهيات وتنسف نظم التعاطي مع المعطيات. ثم تأتي الطامة الكبرى، المعلوماتية التي تمد كل ذلك بسرعة لامعقولة، والتي تنسج شبكات من التواصل المفتوح بين البشر، أيّاً وأين كانوا، والتي تخلق الفضاءات الافتراضية (أو «الخالئية» حسب نبيل علي) وتنجز مختلف أنواع التعاملات الواقعية. تلك ليست بالطبع حالة أوروبا فقط، أوروبا المتسارعة إلى الاتحاد سعياً إلى مواكبة المستقبل ومتغيراته، بل حالة الغرب كله، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية. لا بل هي حالة عالم اليوم،

من الصين التي تمارس تغييراً جذرياً مدروساً، إلى نمور الشرق الأقصى، إلى الدول «البارزة» ( les pays émergents ) حديثاً مثل الهند والبرازيل وجنوب أفريقيا.

لكن عتاة المستبدین العرب لم ينتبهوا إلى شيء من ذلك ولم يفقهوا أبعاده، فاستمروا في ترسيخ منظومة تأبيد حكمهم... إلى أن وقعت الواقعة عندما أضرم محمد البوعزيزي النار في جسده. زحفت الحشود وابتدأت عروش الاستبداد تترنح. تقاوم بطش الاستبداد فسالت دماء المتظاهرين لتصبغ بالأحمر الثوري ساحات وشوارع وميادين ومدناً ما لبثت أن شكلت رموزاً ثقافية ناصعة: ميدان التحرير في القاهرة وميدان الحرية والتغيير في صنعاء وساحتا القصبه والتضامن وشارع الحبيب بورقيبة في تونس، وبنغازي في ليبيا، وحمص ودرعا وحماة وإدلب وأسماء لا تعد ولا تحصى في أرجاء سورية.

غصت الساحات بالبشر والشعارات والرايات والهتافات والياقطات: ” الشعب يريد إسقاط النظام “ و ” إرحل “ كانتا ولم تزالا المشترك العابر لكل الثورات، مشترك يعلن ثقافياً انقلاب الأدوار وانعطاف التاريخ واختلال الموازين. يعلن استعادة الأمور إلى نصابها وعودة المياه إلى مجاريها الطبيعية: لم يعد الأمر للمستبد بل عاد إلى من ينبغي به أن يأتي بالحاكم وأن يراقبه ويسائله ويحاسبه. ونتيجة لذلك صدر الأمر النهائي الحاسم: ” إرحل “. هتفت بها ثورة الياسمين منذ اللحظة الأولى، وبالفرنسية ” Dégage “، وطاب لبعض ثوار سوريا أن يترجموها بالعبارات الشعبية المقابلة مثل ” فلّ عنا “ أو ” حلّ عنا “ أو ” انقلع “. لكن ما يلفت النظر في هذين الشعارين العموميين هو عمق الرؤية والبعد الحضاري اللذين ينمان عنهما، إذ أن المطلوب إسقاطه هو منظومة الاستبداد، أما المستبد الذي عانت منه الشعوب الأمرين فما المطلوب منه سوى إخلاء المكان لغيره والمغادرة إلى حيث يشاء.

لكن الملفت في شعارات وهتافات الثورات العربية هو التسارع المطرد في تجذرها ونضوجها واستشرافيتها معاً. لقد نبتت في طرفة عين وانتشرت انتشار النار في الهشيم . نشأت في جو يذكرنا به بيت أحمد شوقي الشهير:

يا ربَّ هبَّت شعوب من مَنِيَّتْهَا واستيقظت أمم من رقدة العدم

أخذت تفتش بين حواضر البيت وتهتف بما يشبه الارتجال، فتقلد التونسيون نشيدهم الوطني « حماة الحمى »<sup>٢</sup> وقصيدة أبي القاسم الشابي « إذا الشعب يوماً أراد الحياة » التي ما لبثت الفنانة لطيفة أن غنتها لهم على ألحان اللبناني وجدي شيا. بينما التفت المصريون إلى تراثهم الغنائي

الحديث فاستخرجوا من مخزون محمد عبد الوهاب «أخي جاوز الظالمون المدى»، ومن أم كلثوم «للسير حدود» وغيرها، ومن عبد الحليم حافظ «أحلف بمسأها وبترابها» فألحقوا بها «الحزب الحاكم خربها»، ومن نجات الصغيرة «أسألك الرحيل» إلى غير ذلك من تنويعات ظريفة وكوميديية على الكثير من الأغاني الشعبية والتراثية.

إن شباب هاتين الثورتين اللتين لم تدم مرحلتها الأولى - سقوط الطاغية - طويلاً، قد برهنوا أنهم متجذرون في الموروث الثقافي لمجتمعهم وراغبون في تحديثه وتطويعه ليناسب تطوراتهم المستقبلية، بل وقادرون على ذلك خلال فترة وجيزة. هذا ما ينطبق على بدايات الثورات الأخرى التي اختلفت فيما بعد ظروف سيرورتها، كما في ليبيا، أو اضطرت بعد حين إلى القبول بحل وسط ومرحلة انتقالية، كما في اليمن، أو تلك الثورة الأعجوبة في سوريا، تلك اليتيمة الصنيدية التي تتصدى لإرهاب النظام ولامبالاة العالم معاً.

نهلت الثورات الأخيرة الثلاث من نفس المناهل الثقافية، ورننت إلى نفس الغايات، لكن اليمنية والسورية على وجه الخصوص وجدتا نفسيهما مضطرتين لاعتماد النفس الطويل، فلجأت كل منهما إلى إطلاق التسميات على أيام الجمعة. لا مجال، في تأملات كهذه، للقيام بدراسة تفصيلية لأبعاد وخلفيات ومرامي هذه التسميات، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى أن اليمنية منها تتوالى في ما يشبه الخط المستقيم حيث تكون كل جمعة محطة شحن وجداني وتجبيش نفسي لضمان استمرارية الحشود في ميدان الحرية والتغيير في صنعاء وميادين صعدة وتعز وباقي المدن. هكذا جاءت تسميات «جمعة الغضب» و«التلاحم» و«اللاعودة» و«الإنذار» و«الرحيل» و«الثبات» و«الاصرار» و«الفرصة الأخيرة» و«الحسم» الخ. تحت بتركيبتها البسيطة ودلالاتها الاستبشارية على بقاء المتظاهرين في ساحات ملأوها منذ الأيام الأولى لثورة «فبراير ٢٠١١».

أما التسميات السورية فتعكس شبكة معقدة من الشعارات والنداءات والتوجيهات والتحميسات والقرارات والخلاصات والاتهامات، شبكة تضع أمامنا لدى استعراضها صورة تفصيلية عن خلفياتها الثقافية والفكرية، عن منطلقاتها ومراميتها وتنوع مكوناتها الجغرافية والاجتماعية، وعن العقبات التي تعترضها والتحويلات أو الانعطافات التي تجد نفسها ملزمة بالقيام بها ما بين سلمية البدايات والمصطلحات العسكرية والحربية التي ظهرت ثم تكاثرت إلى أن احتلت المقام الأول. باستعراض هذه التسميات نستحضر المراحل الأساسية التي مرت بها هذه الثورة، نواكب محطاتها أسبوعاً بأسبوع



ونعيش معاناتها وخيبات أملها وتصميمها ومطواعيتها وتجاوزها الكم الهائل من المطبات والألغام التي اعترضت سبيلها ولم تزل. لكأننا أمام حشد هائل من علماء نفس واجتماع وسياسة وتاريخ وجغرافيا وأنتروبولوجيا ثقافية يجددون توجهات تصوغها جمهرة من اللغويين والإعلاميين والمعلمين في أمثال وحكم ومضغوطات معانٍ تستمد قوتها ومشروعيتها من التراث والتاريخ والواقع المعاش وتوجهات المستقبل. من الدعوة إلى مواصلة التجمهر تحت شعار «سلمية، سلمية» وبتسميات «ماضون» و«وحدة المعارضة» و«الموت ولا المذلة» و«إضراب الكرامة» و«إخلاصنا خلاصنا» و«ثوار وتجار يدأ بيد»، إلى التعاضد والتكافل بين مختلف المدن والمناطق، فجمعة لحوران وواحدة للقامشلي أو بانياس أو دير الزور و«عذراً حماة» و«سننتفض لأجلك يا بابا عمرو» و«أطفال الحولة مشاعل النصر» و«مليونية حلب» و«انتفاضة العاصمتين» و«قادمون يا دمشق» و«لا تحزني درعا إن الله معنا» وشاعرية المكان المتفجر والمشطى في «داريا إخوة العنب والدم» ورمزية شمولية الثورة في «أحرار الساحل يصنعون التغيير»، أو التضامن مع ثورة أخرى «النصر لثامنا ويمننا» أو مع مدينة تدفع غالباً ثمن مساندتها للثورة «الوفاء لطرابلس الشام»، أو استنكار تخاذل آخرين «صمتكم يقتلنا»، «الجامعة العربية تقتلنا»، «روسيا تقتل أطفالنا»، «خذلنا المسلمون والعرب». تتقن الثورة السورية لغة الشعار وفنونه، تنطلق في مرحلتها العسكرية من نداء إلى «أحرار الجيش» يلي جمعة المجلس الوطني يمثلنا، ثم تنتظر فترة قبل أن تعلن «الجيش الحر يحميني» (٥ تشرين الثاني ٢٠١١)، وفترة ثانية قبل المطالبة ب«تسليح الجيش الحر» ثم بتوحده «بوحدة جيشنا الحر يتحقق النصر» و«توحيد كتائب الجيش الحر» وصولاً إلى المطالبة ب«دعم الائتلاف الوطني».

لن نتوسع في ذلك أكثر، ولا في مظهر ثقافي آخر هو الشعارات والتهافتات، لكننا نلفت النظر إلى تلك المشهديات البشرية الرائعة في بلد يخبرنا الكاتب الفرنسي ألان بونان في الوصية السورية أن «التجمعات البشرية مسموحة هناك لعدد لا يتجاوز الخمسة أشخاص». ٢٠ آلاف البشر يحتشدون ضمن مربعات أو مستطيلات أو دوائر، هاتفين هازجين بأغاني أحمد الهاجري وسميح شقير وإبراهيم القاشوش وغيرهم، يتحركون معاً باتجاه واحد أو اتجاهين متعاكسين ليرسموا أمواجاً متلاطمة في كفرنبل وبنش ومئات الأماكن الأخرى. يستحضرون القدود الحلبية والموشحات الشامية والمواويل ومختلف الأنغام التراثية والشعبية. يكتب عمر كوش على صفحة الثورة السورية في مواقع التواصل: «راح المحتجون في درعا، مثلاً، يرددون شعاراتهم على وقع الأهازيج التي تزخر بها منطقة حوران، من الميحة والسحجة

والدرزية والجوفية والشعرافية والهورانية والشمالية والنسورانية». وتكرر المشاهد حتى في الجنائز حيث طالما رفعت النعوش على الأصابع وطاف المشيعون مكبرين هاتفين «إرحل إرحل يا بشار»، «سوريا بدها حرية»، «الموت ولا المذلة»، «الله، سوريا، حرية وبس».

تصر الثورة السورية على رحيل الطاغية، وتتحدى في سبيل ذلك كل العوائق، حتى الموت. ويحتشد تحت رايتها وفي ميادينها ملايين السوريين الناهلين من معين التراث والثقافة الشعبية، كما تحتشد جمهرة غفيرة من المثقفين المبدعين في مختلف ميادين الفن والفكر والمعرفة. يكفي للتعرف إلى عدد منهم مراجعة أعمال تظاهرة «سورية.. وطن يفتتح في الحرية» التي شهدتها الحي الثقافي «كتارا» في مدينة الدوحة خلال الأسبوع الأول من حزيران / يونيو ٢٠١٢ والتي شارك فيها المئات من تجمع «كتاب ومثقفون سوريون مع الثورة» وتجمع «مثقفون من أجل سورية» ورفاق لهم من مختلف الدول العربية. لا أعتقد أن أحداً منهم سينزعج إن خصصنا بالذكر هنا الفنان علي فرزات الذي استحق منذ يومين جائزة جبران تويني تمجيداً لأعماله ونضالاته.

لكن الإشكالية الأولى للثورة السورية وسابقتها العربيات هو عدم وضوح «المابعد» في رؤاها. تنبض شعاراتها بحتمية سقوط النظام وباقتلاع الظلم والإذلال والفساد والتهميش والحرمان، ولكنها لا تطرح كبديل لذلك سوى الحرية والوحدة الوطنية والتغيير، مع استثناء يرد في الثورة اليمنية «نعم للمواطنة المتساوية». لا برامج إذن لنظام مستقبلي ولا تصوراً محدداً وواضحاً عنه. وهذا ما يأخذه العديد من المثقفين العرب على هذه الثورات، وما يجعل نقدهم يتراوح بين التشكيك في جدواها والخوف على مستقبلها والخشية من نتائجها ودرء المخاطر المحدقة بها.

لكن الجميع يقرون بأن تفجرها العفوي من أرضية القهر والظلم والتنكيل والتجهيل والفساد والتسطيح لم يترك مجالاً للتفكير في «المابعد». نضرب المثل التالي للتدليل على تلك العفوية. يقول أول خبر يطالعنا على الصفحة الفيسبوكية للثورة الليبية: «الناشط حسان الحجمي في ليبيا ينشئ في ٢٨ يناير ٢٠١١ صفحة على موقع الفيسبوك الاجتماعي تدعو إلى انطلاقة ثورة في ١٧ فبراير، ذكرى أحداث بنغازي في ٢٠٠٦». وقد انطلقت الثورة في التاريخ المذكور. لكن هل نحن أمام مسرح اللامعقول؟ أم أننا نشاهد فيلماً خيالياً علمياً؟ إنها إرادة الشعوب التي تتجاوز كل ذلك في ساعة الحقيقة. وتلك الساعة تغييرية، تأسيسية، لكنها ليست التاريخ كله.

والإشكالية الثانية المطروحة هي أسلمة، أو بتعبير أدق «أخونة» أو قد أقول «أصولة» (نسبة

إلى التيارات الأصولية) أو «أسلفة» تلك الثورات. والدليل على ذلك من استلم السلطة في تونس ومصر من جهة، وتسميات العديد من كتائب الجيش الحر و«الإيديولوجيا» التي تنتمي إليها من جهة ثانية، وما يجري من مخاض في ليبيا واليمن من جهة ثالثة.

يناقش هاشم صالح كل تلك المسائل «على ضوء فلسفة التاريخ» في كتاب يناهز الـ ٣٥٠ صفحة، مستنداً إلى سيرة «التنوير» الغربية، من ديكرت إلى هيغل ونيتشه وكانط والتنوير بين الفرنسيين، وأيضاً إلى قراءات محمد أركون للفلسفة السياسية في الإسلام، ويلاحظ أن الثورة الفرنسية والثورات الأوروبية الأخرى لم تحرز النجاح بفعل إسقاط الملكيات الاستبدادية فقط، وإنما أيضاً بالتخلص من سيطرة الكنيسة على القرار السياسي. ثم يسجل ست ملاحظات حول ظاهرة الربيع العربي: الأولى أن «العصور الوسطى لا تزال هي المنتصرة بما لا يقاس على الحداثة العربية البدائية، الجينية، الخائفة»، والثانية أن «العقائد الإسلامية الدوغمائية» لا تزال ذات «مصادقية كاملة وهيمنة مطلقة على الساحة العربية أو الفارسية أو حتى التركية، والثالثة أن «تفكيك العقائد المسيحية القروسطية تطلب من مفكري أوروبا نضالات هائلة على مدار ثلاثة قرون متواصلة، والرابعة أنه «لا يمكن الانخراط في تفكيك العقائد الإسلامية حالياً لأسباب داخلية وخارجية»، ولذلك «لا يُتوقع أن ينتصر التنوير العربي في المدى المنظور»، الخامسة تقول: «وهدم قلة من المجانين المتهورين سوف يظلون متعلقين بمشروع التنوير الذي يخرق كل الطوائف والمذاهب ويتجاوزها»، والسادسة أن «طوائف الأغلبية» لا يمكنها بالتالي أن تقدم الحل البديل، لعدم استنارتها من جهة، ولقوة النزعة الطائفية لدى الأقليات من جهة أخرى. ٥ لكن وجهة نظر المؤلف ليست سوداوية مطلقة، إذ يقول بعد ذلك: «إن ما يحصل الآن قد يشكل الخطوة الأولى للمصالحة بين الإسلام والحداثة في نهاية المطاف. وقد يدفع بالتنظيمات الإسلامية المنتصرة في الانتخابات إلى تعديل الكثير من أطروحاتها غير الواقعية أو غير المنسجمة مع فلسفة حقوق الإنسان التي تسود العالم المعاصر» (ص ٣٢٠).

لكن ما دور المثقفين في ذلك؟ يجيبنا المؤلف: «لقد قيل الكثير عن تقاعس المثقفين العرب أو عدم مشاركتهم في هذه الانتفاضات أو عدم إرهابهم بها... ولكن من الظلم إدانة المثقفين العرب ككل، فبعضهم مهدوا الأرض للحدث الزلزالي بكتاباتهم التي تدين التخلف والاستبداد والظلام. وهي أفكار منتشرة أكثر مما نتصور في أوساط الشبيبة المنتفضة من أجل الحرية والحقيقة والعدالة الاجتماعية» (ص ٢٣٩).

بعد الإشارة إلى أن هذا الكتاب مشوب بشيء من الشخصنة المفرطة أحيانها في مواقفها السلبية أو الإيجابية تجاه عدد من الشخصيات والآراء، نشير إلى إيجابية أخرى فيه هي استعراضه في الفصل ما قبل الأخير والمعنون « كتب ومراجعات» لما يلي، حسب العناوين الفرعية: «سمير أمين والربيع العربي»، «ماتيو غيدير (قويدر) وصدمة الثورات العربية»، النهضة والانتفاضات الديمقراطية في مرآة الباحث جان بيير فيليو» وبنيامين ستورا وتأملاته حول الانتفاضات العربية». نقتطف من هذا الأخير<sup>٦</sup>. «يرى بنيامين ستورا أن الانتفاضات العربية ليست وليدة الفيسبوك كما توهم بعضهم، وإن كان قد سهل من حركتها وأسهم في تنشيط العملية الثورية. والدليل على ذلك أنه لزم الخروج من العالم الافتراضي والنزول إلى الشارع لكي تحصل الثورة... ويبقى أن صانع الثورة الحقيقي هو الإنسان» (ص ٣٢٥).

مقترح التنوير يطرحه باحث آخر هو رشيد الحاج صالح كخلاصة لكتابه الوجه السياسي للثقافة العربية المعاصرة<sup>٧</sup>، إذ يقول: «إن الدور الحقيقي المطلوب من المثقف هو دور تنويري عقلاني يقوم على الكشف عن أدوات الهيمنة غير المباشرة وفضح الأوهام والمتناقضات التي تعشش في وعي الناس، وإعادة تشكيل الحقائق والبداهيات من جديد» (ص ٢٩٧). وهذا التنوير هو ما يبشر به نبيل علي من قبل هذه الألفية الثالثة مع دعوته الدائمة إلى الانخراط بعمق وتبصّر في عصر المعلومات سعياً إلى الإبداع والتغيير عبر المعرفة والحوار. هذا ما يطرحه مثلاً في سلسلة من الأسئلة المقلقة التي نقتطف منها: «ما كل هذا الانزعاج من وجود روافد ثقافية فرعية تصب في المسار الثقافي العربي العام؟... وما كل هذه الخصومة التي تصل إلى حد القطيعة بين فرق فكرنا القومي والديني والسلفي والعلماني؟... ولماذا لا يرى الكثيرون -كما يقول الجابري- نهضة عربية أو إسلامية إلا في غيبة الآخر أو إلغائه»<sup>٨</sup>.

والحوار هو ما يقترحه محمد محفوظ في ربيع العرب<sup>٩</sup> كمدخل لمواكبة التحولات الكبرى التي يعيشها العالم العربي.

تلك كانت مساهمات عرضناها كنماذج عما يبدي به المثقفون العرب حول الربيع العربي الذي -خلافاً لما يقوله نضال نعيصة عن «وهم الربيع العربي» وإبراهيم الشيخ عن «التجارة بثورات الربيع العربي»، وما يعتقد غسان بن جدو مثلاً عندما يرفض أن يحمله ضميره الاعتراف بوجود ربيع عربي، وما يروج له القيمون على صفحة «الربيع العربي والشتاء السوري» على الفيسبوك، إلخ.. يبدو أنه أطلق على الفور حملة تنوير شاملة في الدراسات والبحوث والرواية والمسرح والسينما والشعر والرسم والنحت. لكأنما شكل هذا الربيع صدمة مزلزلة على صعيد المفاهيم والرؤى والتصورات والقناعات

فجاءت تجربته متناقضة بشكل ما مع ما حدث في الثورة الفرنسية: هناك أطلق التنوير عملية الثورة، وهنا تطلق الثورات عملية التنوير.

تطلقها، تقول. لكن لم يزل أمامنا طريق طويل لبلوغ ثقافة المعرفة والإنتاج والإبداع. يقول أدونيس: «تفترض «الحدائثة» في المجتمع نشوء أشياء وأفكار لم تعرفها «القدامة» ومختلفة عنها ولا تنشأ الحدائثة إلا إذا قامت أساسياً على رؤية جديدة وخاصة للإنسان والعالم، وعلى نتائج كبيرة تسائل كل شيء: التراث- ديناً ولغة، شعراً وفكراً، والحياة- فرداً ومجتمعاً، والوجود- إنساناً وكوناً، والحضارة- ذاتاً وآخر»<sup>١٠</sup>.

لن نختم مع أدونيس، وإنما مع الرواية، أو بالأحرى مع الخيارات الروائية لطلاب الجامعات العربية، لثمانية عشر طالباً من ست عشرة جامعة عربية التقوا في بيروت بدعوة من مؤسسة جائزة غونكور الأدبية ليحددوا، ضمن فعاليات «صالون الكتاب ٢٠١٢» ما يدعى « خيار الشرق» في ميدان الأدب الفرنسي، فاخترتوا جميعاً رواية شارع اللصوص (la rue des voleurs) للأديب ماتياس إينار.<sup>١١</sup>

نقرأ في بطاقة التعريف بالرواية، على غلافها الرابع: « يعود الكاتب إلى أرضية حساسيته المفرطة تجاه الربيع العربي والثورات الساخطة... ويصور مسيرة محارب دون قضية... يحمله حلم استقرار بعيد الاحتمال نحو مستقبل صودر سلفاً ولكنه مضاء بصحبة الكتب ومحبة الكتابة وتجسيد منحى إنساني عربي».

لكن بطل الرواية لا ينتمي إلى أي من دول الربيع العربي. إنه الأخضر، شاب منكود الحظ من طنجة. يُطرد من منزله في سن الثامنة عشرة بعد أن يضبط متلبساً مع ابنة عمه في علاقتهما الجنسية الأولى والوحيدة. يعيش شريداً إلى أن يُدخله صديقه بسام في خدمة أحد المشايخ الأصوليين، مسؤولاً عن مكتبة المركز. هناك يكتشف ولعه بالروايات البوليسية بدل الكتب الدينية. يحدث بعد حين تفجير مقهى أرغان في مراكش ويليه احتراق المركز الذي يعمل فيه، ثم ذبح سائح في أحد مقاهي مدينته طنجة. يشك أن لصديقه ولشيخه يداً في ذلك. بعدها تتقاذفه الخيبات والنكبات إلى أن يستطيع بلوغ برشلونة كمتسلل بغية العيش مع صديقة إسبانية كان قد أمضى معها بضعة أيام في طنجة وفي تونس. يلتقي هناك شباناً من دول عربية عديدة فيلاحظ أن «الوحدة العربية لا توجد إلا في أوروبا». يعمل مدرساً خاصاً للغة والشعر العربيين لكن علاقته تسوء بصديقه التي تعاني مرضاً خطيراً. فجأة يعود إلى الظهور

شيخه القديم مع بسام الذي يبقى مقيماً عنده. لا يلبث الأخضر أن يكتشف أن صديقه يجمع أدوات ومواد تستخدم في التججير. في غمرة اليقين والقنوط والحنق يذبح صديقه ويساق إلى السجن حيث يكتب قصته.

بيرر ممثل إحدى الجامعات العربية اختياره للرواية قائلاً: «هو شخص أضع وجهته فقرر مجابهة العنف بالعنف ليست تلك نهاية رواية مفتوحة، بل إنها دائرة مغلقة، فالعنف لا يولد إلا العنف». تردف طالبة أخرى: «نحن ننماهى معه، إذ نعيش جميعنا في نفس المتاهة»، وتضيف ثالثاً: «تتخذ الرواية بعداً كونياً لأنها تصور تمزق الهوية الذي يعاني منه كل شباب العالم الطامحين للحرية.

ونحن سنختار بدورنا فقرة من الرواية نطرحها كسؤال النهاية- البداية: «كل ما أريده هو الحرية، وجميع الشباب مثلي. لكن الإسلاميين هم محافظون قداماء يسلبوننا ديننا الذي يُفترض أنه يستوعب الجميع. أما اليسار العربي فهم نقابيون قداماء يفصلهم عن الواقع مدى إضراب يدعون إليه. فمن ذا الذي سوف يمثلني إذن؟».

نشير في النهاية إلى أن الأخضر يلاحظ أن شباب أوروبا يعيشون نفس معاناة الشباب العربي، ولكنهم يتورعون عن النزول إلى الساحات «لأن لديهم الكثير ليخسروه».

قد يكون علينا تعلم الكثير من شبابنا. ومن يدري بكم من المفاجآت سيصنعنا هؤلاء الشباب؟

## الهوامش والمراجع

- ١ - L'Orient – le jour, 2012, jeudi 1er novembre, p.7
- ٢ - Benjamin Stora, 2011, le 89 arabe, Paris, stock
- ٣ - دريد لحام في مسرحية كاسك يا وطن.
- ٤ - من كلمات مصطفى صادق الرافعي التي أضيف في آخرها أول بيتين من قصيدة الشابي المذكورة.
- ٥ - Alain Bonnard, 2012, Le testament syrien, éd. Ecriture, Paris, p.43.
- ٦ - عمر كوش، ”شعارات وهتافات الثورة السورية“، غوغل، ٢ / ٨ / ٢٠١٢.
- ٧ - أنظر ملحق مجلة الدوحة، عدد يونيو ٢٠١٢: شملت التظاهرة ندوات ومحاضرات وأمسيات غنائية وعروضاً سينمائية ومسرحية ومعارض فنية في الرسم والكاريكاتور ورسوم الأطفال.
- ٨ - هاشم صالح، ٢٠١٣، الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ، دار الساقى، ص ١٩٦ - ١٩٨.
- ٩ - صادر عن الدار العربية للعلوم، ٢٠١٢، بيروت.
- ١٠ - نبيل علي، ٢٠٠١، الثقافة العربية في عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص ٥٤ - ٥٥.
- ١١ - صادر عن دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢.

## قراءة حول المتغير الاجتماعي للربيع العربي\*

د. مصطفى الحلوة  
مؤسسة الصفدي

مدخل  
بعد أربعة أيام (١٧ / ١٢ / ٢٠١٢) تحل الذكرى السنوية الثانية للشرارة التي أطلقها محمد البوعزيزي بجسده المحترق الذي راح يشعّ ربيعاً ويلفح بنيرانه العديد من الأقطار العربية.

واليوم، تنعقد هذه الندوة متزامنة مع الإضراب الوطني الجامع الذي كان قد دعا إليه الاتحاد العام التونسي للشغل وتمّ إلغاؤه ليُعلن أن «ثورة الياسمين»، ثورة الحرية والكرامة، لن يتبدد أريجها الفواح، طالما أن هناك شعباً قرّر المضي قدماً في ثورته التي ينتابها جزرٌ ومدٌّ، هما من طبيعة الثورات التي تصنعها الشعوب.

وفي هذه الأيام نواكبُ في أرض الكنانة صراعاً مصيرياً محتدماً بين القوى التي أنجزت التغيير. هو صراعٌ بين قوى إسلامية متعطشة إلى السلطة وبين قوى ليبرالية حديثة ترى أن هذا التغيير قام على أكتافها وهي تخشى أن تبيت خارج اللعبة السلطوية!

وفي ليبيا التي أجرت انتخابات نيابية نزيهة إلى حد بعيد، لم تستتب الأمور بعد، إذ لا تزال مناطق واسعة خارجة على السلطة، ناهيك عن الحوادث الأمنية المتفرقة التي تشي بتراخي القبضة السلطوية.

وعن اليمن السعيد، فإنّ «بكتيريا» النظام الآفل لا تزال تعتمل في جسد الدولة المنهك. وكأننا بالتغيير طاول واجهة السلطة ولم يسقط النظام السابق.

أما عن سوريا التي تتميز بفرادة بين دول الربيع العربي جرّاء وضعها الجيو سياسي في الإقليم وعلى المستوى الدولي، فهي تعيش اللحظات الأخيرة المتطاولة لانهايار النظام القائم، وبما يُشرع الأبواب واسعة على مجهولٍ مخيف لا يستطيع ارتقاؤه حتى الراسخون في علم السياسة.

ولا ريب أن مقارنة الربيع العربي مهمة يجب أن يتجشّمها رجال الفكر، من منظرين سياسيين ومشتغلين بالعلوم الاجتماعية على اختلافها، إلى سائر المعنيين بقضايا المجتمعات والإنسان.

في إطار ندوة بعنوان: «قراءة في مسارات الربيع العربي / معوقات التغيير»، معرض بيروت الدولي

للكتاب السادس والخمسين - مركز «بيال»، بيروت - لبنان - ١٣ / ١٢ / ٢٠١٢.



وعليه، كان لنا، في إطار قراءاتٍ مُتعددة الجوانب للربيع العربي أن نكبَّ على قراءةٍ مُتأنيةٍ للمتغير الاجتماعي، مستعرضين الظاهرات التي يُفرزها هذا الربيع و متوقفين عند بعد المعوقات التي تُفرمل حركته و تنهدد إنجاز مسيرته الواعدة.

وفي يقيننا أن الربيع العربي ماضٍ إلى الأمام ولن يعود القهقري، وإن شابَّت مسيرته بعض العثرات.

### في المتغير الاجتماعي للربيع العربي

مما لا شك فيه أن المتغير الاجتماعي الذي أفرزه الربيع العربي يحتلُّ المساحة الأكثر اتساعاً في إطار سائر المتغيرات، فوقيّها و تحنّيها. ولا عجب، فإذا قلنا ثورة بادرنا إلى القول: عملية حركية تتميز بالانتقال من بُنيان اجتماعي إلى بُنيان آخر. فالثورة هي، في نهاية المطاف، انسلاخٌ من سياقات الماضي ووصاية المرجعيات المستبدة الأبوية على اختلافها. بل هي ارتباط بالفكر المدني الحديث المرتكز على حقوق المواطنة الكاملة و المساواة.

إشارةً إلى أن المتغير الاجتماعي هو في علاقة جدلية و سببية، طرداً و عكساً، مع المتغيرات السياسية و الثقافية و الاقتصادية، و إلى آخر مكونات البنى المجتمعية.

وكون المتغير الاجتماعي يُقاربُ من منظور علم الاجتماع، ذلك العلم الذي يدرس المجتمع ككل في ثباته و تغيره، كما يدرس الإنسان من خلال علاقته بالمجتمع، فإن ذلك سيُفضي إلى دراسة شمولية قد لا توفرها سائر العلوم الإنسانية.

وإذا كان الأمر كذلك- و المقام ههنا يضيق عن أفراد المساحة اللازمة لمقاربتنا- فإننا سنجهد في التوقف عند المفصلات الأساسية لإشكاليتنا من دون الخوض في تفاصيل ليس مكانها هذه العجالة.

إننا، في مقاربتنا للمتغير الاجتماعي، سنستعرض ما يندرج تحت عنوانين كبيرين، إضافةً إلى أفرادنا حيزاً لمعوقات التغيير.

### أولاً- ثوابت و رؤى حول المتغير الاجتماعي

أ- لما كان الصراع ظاهرة كلية الحضور في المجتمع الإنساني، فإن التحولات المجتمعية لا يمكن القطع بنتائجها بشكل حاسم و نهائي. فالتحولات، بلغة الفلسفة وكذا العلم، هي في صيرورة، وهذا ما يدفعنا

إلى التشديد على أن المتغير الاجتماعي الذي يُفرزه الربيع العربي غير رأس على حالٍ واضحةٍ وقطعية. بل هو في حال قلق، ما يستدعي وضع تجليات التغيير قيد المراجعة المستمرة.

وإذا كان المجتمع في حركة من الصراع دائمة، فالأولى أن يكون الفكر النقدي على هذه الصورة. إن الحراك المجتمعي الذي لا يستقر على حال يدفع بالضرورة إلى القلق المعرفي الدائم.

ب- استتباعاً لما سبق، نذهب إلى أن الحالة بالنسبة إلى الثورات العربية أكثر تعقيداً منها في حالة الثورات الأوروبية الحديثة والمعاصرة. فثورات الربيع العربي تقوم في ظل انقسام أو استقطاب داخلي لم يُحل بعدُ بين دُعاة الحداثة (أو التغريب) وبين دُعاة التقليد (أو الاعتماد على التراث).

والسؤال الذي يُطرح في هذا المجال هو الآتي: هل يمكن من منظور العلوم الاجتماعية امتلاك نموذج تفسيري كلي لفهم حالة الثورات العربية على مستوى العوامل والفاعلين والمحركات وما يتعلق بتحدياتها ورهاناتها وأفاقها؟

وهل صحيحٌ، كما يرى باحثون كثرٌ، أن الربيع العربي هو أقربُ شَبهاً بالثورة المفاجئة «اللاواعية» نتيجةً لحدوث شيء بسيط وتافه فجّر العواطف المكبوتة في اللاوعي؟

وهل نتبنى ما ذهب إليه الباحث السياسي الفرنسي «برتراند بادى»، حيث يُطلق على الثورات العربية عبارة «الثورات ما بعد اللينينية»، كونها ثورات غير إيديولوجية ولا طبقية على عكس ثورات القرن العشرين؟

وهل يتقاطع المفكر د. غسان سلامة مع هذه الرؤيا في جانب عندما يُفصح عن السمة التي تطبع الربيع العربي، فيرى إليه ربيعاً أخلاقياً ينتصر للكرامة الإنسانية ولحرية الإنسان ضد الاستبداد بمختلف أعراضه وتلاوينه؟

إن الفئات الشبابية العربية الفتية المسحوقة والمهمشة، في ظل تصاعد النمو السكاني وأزمة البطالة، هي التي قادت وتقود عملية التغيير السياسي والاجتماعي في مجتمعاتها.

وبإزاء ذلك التهميش وذلك القهر الاجتماعي، هل نستغرب قيام تنظيم نقابي طريف في تونس تحت مسمى «اتحاد أصحاب الشهادات العاطلين عن العمل». إشارة إلى أن فرع ولاية سليانة في تونس

لهذا التنظيم هو الذي يؤجج راهناً الحراك الشعبي في هذه الولاية بمواجهة حركة «النهضة» وحلفائها.

ج- إن النتائج التي يمكنُ الخلوص إليها من مقاربتنا للمتغير الاجتماعي لا تتصف بالعمومية، ذلك أن دول الربيع العربي تتشارك في صفاتٍ وأوضاعٍ وتتمايز في الكثير من الصفات والأوضاع.

وعلى سبيل المثال، فإن مصر وتونس قُدِّمتا على أنهما نموذج الثورة السلمية الناجحة، في حين تُصنَّف ليبيا واليمن في خانة الثورة العنيفة، غير غافلين عن احتمال تغيير هذه النظرة بالنسبة إلى الدولتين الأوليين اللتين قد تجنحان نحو العنف جراء الحراك الشعبي المحتدم الذي يعصف بهما راهناً.

وفيما يخص الثورة السورية، فقد انطلقت سلميةً زُهاء ستة أشهر ولتتحول عُنفيةً إلى أبعد الحدود ومستويات غير مسبوقه بعد استدراجها إلى هذا المنحى من قبل النظام.

د- إن التغيرات الاجتماعية، وسائر التغيرات، التي أفرزتها ولا زالت تُفرزها ثورات الربيع العربي، هي كما بُقعة الزيت، كونها ستطاول سائر الأقطار العربية التي لم تلتفحها حتى تاريخه رياح التغيير.

وما الحراك الذي تشهده مملكة البحرين والمملكة الأردنية الهاشمية، وبالأمس السودان وسواها، إلا مؤشرات تُرهص بأن الربيع العربي يدق أبواب هذه الدول.

ثانياً- في التحولات والمتغيرات الاجتماعية:

سنتوقف، كما أسلفنا القول، عند أهم الظواهر التي يتمخض عنها الربيع العربي على المستوى الاجتماعي، وهي تندرجُ تحت الآتي:

أ- هدم جدران الخوف والصمت:

لم يُعدْ للحيطان أذان، وسقطت إلى الأبد النصيحة الذهبية الانهزامية التي تذهب إلى القول «الحيط، الحيط، يا رب نُوصَلْ على البيت»!

بل لقد تهاوى العديد من المفاهيم والمقولات المحبطة، وخرج المارد العربي من القمقم إلى الحرية. هذه الظاهرة تترسخ يوماً بعد يوم، ولا عودة إلى الوراء، إلى عصر الاستبداد واستلاب كرامة الإنسان

والدوس على حرياته وحقوقه.

إن هذا الواقع المستجد يُعيد الاعتبار إلى دور المواطنة التي كانت قد وُتدت لعقود وعقود في ظل الأنظمة الدكتاتورية.

وإيضاحاً للمسألة، نرى الناس راهناً في مصر، وقد تأججت طاقات الحياة لديهم، وهم يملأون الميادين والشوارع بمئات الآلاف بتظاهرات وتجمعات يُطلق عليها مسمى «المليونية»! إنهم يتجمعون، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، وقد شعروا بمعنى استرداد إنسانيتهم.

وهكذا بات الميدان والشارع الفضاء الاجتماعي العام الذي يلجأ إليه طُلاب الحرية. ولم تعد وظيفة هذين الإطارين- الميدان والشارع- وظيفة مرورية، إذا جاز التعبير، بل غدوا مساحةً مُشاعةً ومتنفساً لتفجير الاحتقانات الشعبية والتعبير عن التطلعات والانتظارات.

ب- الدينامية الاجتماعية المتنامية والولادة:

ثمة انتفاضات تخرجُ من رحم الثورات الأم التي أتى بها الربيع العربي. فما يجري راهناً في ميدان التحرير بالقاهرة وسائر ساحات مصر، بعد إصدار الإعلان الدستوري والدعوة إلى الاستفتاء على مشروع الدستور الجديد.. وما يجري في تونس من حراك شعبي عارم وعنوانه اليوم، كما اسلفنا، الإضراب الوطني الجامع الذي وجهت الدعوة إليه من قبل الاتحاد العام التونسي للشُّغل... كل أولئك يُدرجُه الباحثون الاجتماعيون تحت عنوان «ثورة داخل الثورة» أو «انتفاضة داخل الثورة».

يذهب الباحث إبراهيم فرغلي (النهار ١١ كانون أول ٢٠١٢) إلى أن الجيل المصري الشاب ليس لديه استعداد لقبول فكر «الجماعة» الفاشي الذي يقول بطاعة أولي الأمر بلا مراجعة. كما أنه جيل لا يخشى التعبير عن رأيه بما فيه التأكيد أن حرية العقيدة جزء أساسي من مبدأ الحرية العام الذي نادى به ولا تزال ثورة ٢٥ يناير التي دفع الكثير ممن انتموا إليها أرواحهم ثمناً لهذه الحرية.

ج- تلَوْن صُور الصراع:

كلما صعَدنا السُّلم الاجتماعي غدا الصراع فكرياً، وعندما نهبط هذا السُّلم يُصبح الصراع مادياً والعنف فيزيقياً وجسدياً.

وبمعنى آخر ، ثمة تناقص أو لنقل عدم توازن ما بين حجم الطاقة القادمة من أسفل المسكونة بالعنف وبين حجم المعرفة والثقافة الصادرة من أعلى والتي لا تتوازن مع حجم الطاقة الجسدية والفيزيائية القادمة من أسفل.

وإسقاطاً للمسألة على حالة مصر، يذهب الكاتب الصحفي جهاد الزين إلى أنه يجب الاعتراف أن الصراع الجاري حالياً هو صراعٌ بين نخبةٍ وجمهور (صحيفة النهار- ٤ كانون أول ٢٠١٢).

وتوسيعاً للمسألة من منظور آخر، يرى الباحث د. محمود حداد أن المجتمعات الثائرة منقسمة عمودياً إلى جزئين متوازنين: المجتمع الأهلي المنتمي في غالبية إلى الطبقة الدنيا والوسطى الدنيا ويقول بثقافة إسلامية دينية، وإلى مجتمع مدني ينتمي في غالبية إلى الطبقة الوسطى والوسطى العليا ويقول بثقافة ليبرالية غربية تتقاطع عند بعض النقاط مع ثقافة النظام السابق وليس مع مصالحه (صحيفة النهار- ٤ / ١٢ / ٢٠١٢).

د- تشكل شرائح اجتماعية جديدة / «الفايسبوكية»!

إن الربيع العربي أفضى إلى تشكل شرائح اجتماعية جامعة على مستوى الأقطار العربية ، سواءً أكانت في عداد دول هذا الربيع أم خارجه. إشارة إلى أننا نضع هذه الشرائح الجديدة خارج التصنيفات الطبقيّة المعهودة. وهكذا أثرنا استخدام مصطلح شرائح لمجانبة الوقوع في مصطلح الطبقة الذي يأخذنا إلى مفهوم اقتصادي إنتاجي.

إن هذه الشرائح، ندعوها كما سوانا، «بالفايسبوكية».

ولا ريب أن الحالة الثورية العربية جديدة وفريدة في طبيعتها، إنها ثورات مدنية تقودها القوى الجديدة من الأجيال الشابة التي تشتغل بالقوة الناعمة والفائقة للوجود الرقمي والواقع الافتراضي والزمن الآلي.

ولا بد من التشديد في هذا المجال على أن الفايس بوك وتويتر ويوتيوب وسكايب وسائر وسائل التواصل الاجتماعي ليست مجرد أدوات تواصل وحسب، بل إنها تستبطن قيماً جديدة تسللت إلى أعماق تلك الشرائح العُمرية.

وبمعنى آخر، فإن وسائل الاتصال الاجتماعي، إلى دورها اللوجستي الوازن، غدت جزءاً من فاعلية الحركة المجتمعية وحيويتها.

وتمثيلاً على دور هذه الوسائل، فإن شباب سوريا يُلهمون العالم بأسره باستخدامهم أجهزة الكمبيوتر، وهم يتنقلون من ملجأ إلى آخر!

هـ- المثقف الميداني لا مثقف الكلمة!

استتباعاً للنقطة السابقة، نذهب إلى أن الربيع العربي يطوي صفحة «مُتقفي الكلمة»، وفق تعبير الكاتب ياسين الحاج صالح.

وقد كان البديل من هذا المثقف مثقف الصوت والصورة والخط، وهي أدوات أكثر طليعية بعيدة عن الأدلجة والتنظير وأقرب إلى النبض الشعبي، وهي غير مُتعالية! ونؤثر عدم التوسع في هذه النقطة، إذ ثمة قراءة للمتغير الثقافي أعدها الزميل د. مصباح الصمد.

و- ثورات جماعية وبمجهود جماعي:

إن ثورات الربيع العربي لا تُدار من اجتماعات سرية لحزب أو تنظيم معين يمكن القضاء عليه وإجهاض الثورة. ولم يعد ضرورياً وجود زعيم كاريزمي يقود الجماهير ويسهل اغتياله أو يتحول بعد الثورة إلى طاغية يقتل الجماهير باسم الجماهير ويجهز على الثورة باسم الثورة!

بل إن هذه الثورات هي ثورات جماعية تقوم على مجهود جماعي ليس من السهل كشفه ومعرفة طبيعة آليات اشتغال هذه الثورات وإيقاعاتها.

ولعل لدى الثورة السورية الخبر اليقين في هذا المجال، فقوتها في الداخل أنها لا تحمل سوى عنوان واحد، ألا وهو التنسيق التي تغطي البلاد من أقصاها إلى أقصاها وتعمل بحيوية منقطعة النظير.

ز- المرأة والمشهد الاجتماعي:

لا يمكن أن نضرب صفحاً عن المشاركة النسائية المكثفة في الربيع العربي. وهذا تعبير واضح عن نضج المرأة العربية سياسياً، حيث خلخلت الصورة النمطية عن انسحابها من المجال العام وفرضت ذاتها كفاعلة مميزة، بل كمتزعمة أحيان كثيرة بادرت بإطلاق شرارة الحراك الثوري وتدبير بعض مساراته. وتحضر في البال، على هذا الصعيد، الناشطة اليمينية في الحقل العام «توكل كرمان» التي حازت جائزة نوبل للسلام. وقد شكلت علامةً فارقة في الحراك اليميني ضد النظام الاستبدادي. ولا يفوتنا أيضاً استعراض باقة من النساء السوريات نوات الثقافة والحضور النوعيين اللواتي احتلن الشاشات كما الساحات، وهُنَّ ينتصرن لقيم الحرية والديمقراطية، وقد تبوأَت بعضهن مراكز رفيعة في الأطر المعارضة (سهير الأتاسي، ريماء فليحان، فرح الأتاسي، بسمة قضماني...) وإلى عاملات في الحقل الفني والإعلامي وناشطات في الميدان الاجتماعي.

إشارة إلى أن دور المرأة تفاوتت بين دولة وأخرى من دول الربيع العربي. فعلى سبيل المثال، فإن الغلبة في الشارع التونسي هي للحضور النسائي (فتش عن دور البورقيبية في تحرير المرأة وإعطائها جزءاً كبيراً من حقوقها).

إننا نرى ظلال المرأة في كل مشهديات الحراك التونسي، في الحوار بين مكونات الجماعة السياسية، ولا سيما الإسلامية منها، ولا يمكن أن يُتجاهل هذا الحضور.

بيد أن ما أفرزته الثورات العربية من واقع نسوي متميز لم يُعبّر عن نفسه عملاً. فالانتخابات البرلمانية في الدول التي أنجزت ربيعها لم تلحظ حيزاً واسعاً للعنصر النسائي. ولربما يعود ذلك، بل هو يعود حتماً، إلى تمكن النزعة الذكورية في الذات العربية. وما لم يتحرر الرجل من تلك الذهنية التقليدية لا يمكن أن نلمس أي تغيير اجتماعي إيجابي في وضعية المرأة.

ونضيف بأن حقوق النساء ليست من أولويات الحكومات ذات النزوع الإسلامي، مما يطرح تحديات أكثر حدةً على القوى الديمقراطية.

إشارة إلى أن محاربة الاستبداد السياسي لن تكتمل فصولاً من دون اقتلاع جذوره الثقافية التي تخلق الاستبداد الاجتماعي، وقهر المرأة هو أحد مظهراته الجلية.

ح- تعاضم دور المجتمع المدني :

في عصر يشهد موت الإيديولوجيا، واستطراداً احتضار السياسة، بمفهومها التقليدي الشائع، ناهيك عن تراجع دور الأحزاب العقائدية، يبرز دور المجتمع المدني ليملاً الفراغ- والطبيعة تكره الفراغ!- وليحتل ساحة الحراك المجتمعي في ميادين عديدة.

وهكذا كان للمجتمع المدني في دول الربيع العربي أن يكون له القول الفصل في الكثير من مشهديات الحراك ومفاصله.

وبالتوقف عند الذي يجري في مصر راهناً، ننوه بدور المجتمع المدني الذي يتشكل من تجمعات نقابية وأطر ليبرالية ونخب يسارية وعلمانية ورجال إعلام. وبلغة التسميات نذكر « نادي القضاة» الذي ينضوي إليه إثنا عشر ألفاً، وهو يُمثل الفزاعة الدستورية والحقوقية التي تُرفع في وجه القوى الإسلامية التي تسعى إلى «أخونة» الدولة. وكذا الأمر فيما يعود إلى الجسم الإعلامي المتمرد على قيادته المستتعبة من قبل القوى الإسلامية، حيث امتنعت عدة محطات فضائية عن البث احتجاجاً على الإعلان الدستوري ومشروع الدستور الجديد، إضافة إلى احتجاج عشرات الصحف عن الصدور.

وفي محصلة لما سبق، فإن قوى المجتمع المدني في مصر تنتصر للدولة المدنية في مواجهة دولة رجال الدين الذين يحاولون إسباغ الشرعية عليها من خلال شعار ديماغوجي يُزاوج بين «الشرعية والشرعية»!

إشارةً إلى أن ما نراه من دينامية المجتمع المدني في مصر نشهدُ موازياً لها في المجتمع المدني التونسي.

### في معوقات التغيير

أكثر الثورات التي يشهدها التاريخ لم تكن متعجّلةً من أمرها. وثمة فارقٌ بين الانقلاب والثورة. فالانقلاب يُنجز مهمته على حين غرة وبغفلة من المنقلب عليهم، أما الثورة فهي تحتاج إلى تراخٍ في الزمنٍ مديد. ولعل الثورة الفرنسية تُشكل حالةً نموذجيةً للثورات التي تسيرُ بتؤدة وتشهد مداً وجزراً عجيبين. فهذه الثورة اندلعت في العام ١٧٨٩ ولم تنجّل عن خواتيم سعيدة إلا بعد مرور ما يقرب من تسعة عقود. وهكذا، فإن ثورات الربيع العربي لا تُدرجُ في خانة الانقلابات، وإن بدا أن بعض القوى تستعجل مصادرة الثورة، متوسلةً الانقلابي مموهاً بالانتخابي والاستفتائي!



إن الثورات العربية منتصرةٌ لا محالة مهما طاللت المخاضات وبرزت العقبات وتعثرت الخطى. وكما أسلفنا، لا عودة البتة إلى الوراء، فالعالم العربي الذي نعرفه يوارى الثرى، غير مستمطرين عليه شآبيب الرحمة! وإذا كان لنا أن نتوقف عند المعوّقات التي تعترض مسار الربيع العربي، فإننا نكتفي بما هو جوهري، مندرجاً تحت الآتي:

أ- توسل العنف المادي أو الإنجرار إليه بدلاً من الصراع السلمي الديمقراطي. فالعنف قد يؤشر بل قد يفضي إلى احتراب أهلي مفتوح. والخوف كل الخوف على مصر التي يترسّخ فيها الانشطار العمودي على إيقاع التحركات الشارعية. وبالأمس، في التظاهرة الموالية للإسلاميين في نطاق مسجد رابعة العدوية، وقف أحد الشيوخ متوعداً القوى الديمقراطية ومهدداً بأن ثمة عشرات الألوف من «البلطجية الجدد» مستعدون لمواجهة هذه القوى عُنفياً!

ب- الانجرار إلى الاحتراب الطائفي والمذهبي والإثني (العراقي)، والخطر ههنا يتهدد الثورة السورية تحديداً. فعناصر التفجر المذهبي بين السُنّة والعلويين تطل برأسها بين الفينة والأخرى، ويُخشى من التحول إلى حرب أهلية لا تُبقي ولا تذر. وقد يتمخض عن هذه الحرب تشظي الكيان السوري، فنكون بإزاء دويلات طائفية ومذهبية هي من مخلفات الذاكرة الاستعمارية إثر سقوط الدولة العثمانية.

ج- الاشتباك بين المحلي الوطني والإقليمي والدولي في مشهد الثورات العربية. فالتدخلات الإقليمية والدولية في أوجها، إذ تسعى كل دولة لتأمين مصالحها الجيو- سياسية. وهذه المسألة تتبدى أكثر ما تتبدى على صعيد الثورة السورية. وقد اسلفنا القول، إن سوريا تتمتع بفرادة على المستوى الجيو- سياسي، إقليمياً ودولياً.

قد يكون ثمة عوامل ثانوية كثيرة تعوق مسار عمليات التغيير، منها بنيوي ومنها طارئ عرضي، لن نتوقف عندها كوننا استعرضنا العوامل الجوهرية المؤثرة في هذا المجال.

ونختم مجددين القول إن المشهد، مشهد الربيع العربي ليس جميلاً ولا سلمياً دائماً. هي سُنّة الحروب والثورات. ومهما بدا المشهد طويلاً ومؤملاً وفوضوياً ومحفوفاً بالعقبات والعثرات، فإن هذا الربيع لا بد أن يؤول إلى انتصار.

## الأسس الحقوقية للربيع العربي x

د. محمد رفیق قورقوسز  
جامعة القرن الجديد  
اسطنبول - تركيا

### Abstract:

The concept of human rights, which is one of the biggest virtues of our era, is another version of the recognition of the human honor in the international arena. The protection of human honor and personality is the fundamental aim of all the international agreements and protocols.

Without doubt, the Arabic society did not make any assessment from the legal point of view, while initiating the course of the Arab Spring, which is considered to be the course of liberation and democratization. Yet, in the countries, which are affected by the Arab Spring, the opinion of the society was not sought; instead the decisions were made by the ruling class. With the effect of the Spring, the Arabians, very interestingly, hit the streets with the request of food, peace and freedom; which is nothing else but exercising the fundamental rights recognized by the international agreements and protocols. However the fact that is most peculiar is that these rights were never vested to them. Whereas, Arab intellectual richness and fund of knowledge with regards to "human rights activism" at an international level is very high. Most of the participants, maybe not most of them, were aware of their activities and they were also declining to participate to the protest, which are not considered to be peaceful, as recognized in the international agreements.

When the Arab spring is evaluated within the framework of international human rights agreements and protocols, the following assessments can be made:

في إطار ندوة بعنوان: « قراءة في مسارات الربيع العربي / معوقات التغيير»، معرض بيروت الدولي للكتاب السادس والخمسين - مركز «بيال»، بيروت-لبنان - ١٣ / ١٢ / ٢٠١٢.

- 1- To use freedom via free press
- 2- Civil disobedience
- 3- The right to non-violent resistance
- 4- The right to determining their own future
- 5- The right to peaceful demonstrations and The right to demand the change of government in a democratic and peaceful manner

Consequently, it can be stated that, contrary to what is believed, the Arab Spring is not a street movement, emerged spontaneously. On the contrary, this movement, with its intellectual richness and peaceful demonstrations, has become a course, which has initiated a liberal and democratic period by putting an end to tyranny.

### مقدمة: حقوق الانسان و حرياته في الربيع العربي

إذا كان مصطلح حقوق الانسان و حرياته قد تسربت إلى حقل الروابط القانونية الدولية التي تتعلق بكرامة الانسان و حفظه و وضعه كمصدر أساسى فى العالم و المجتمع الدولي في منتصف القرن العشرين ورسخت وشاعت استعمالها منذئذ، إلا أنها لم تنفرد بمعنى واحد محدد بل ظلت تعني معانى كثيرة اصطلاحاً، الأهم المصطلح عندنا تعني مجموعة القواعد القانونية التي تسنها السلطة المختصة بالتشريع في موثيق حقوق الانسان و حرياته اتفاقيات حقوق الانسان و حرياته و بروتوكولات حقوق الانسان و حرياته فى مجتمع الدولي. ولا ينبغى أن تقبلها الدولة التي يعيش فيها الشعب. لأن تلك الحقوق مضمونة من قبل موثيق حقوق الانسان فى المجتمع الدولي. و أعطي هذا الحق لسبب وحيد: أنهم بشر بدون أى تمييزاً.

من دون أدنى شك، لم يفكر الشعب العربي المناصر للحرية، والذي صنع الربيع العربي، بالأسس الحقوقية للعمل الذي قام به، لأنه لم يُمنح في يومٍ من الأيام حق التظاهر السلمي، رغم أن

مطالبه لم تكن تلك المطالب الكبيرة، بل كانت عبارة عن رغبة في الحصول على الإحساس بالأدمية، إضافةً إلى مطالب الكتل التي أقرتها نقابات العمال الأحرار العالمية، من قبيل ” الخبز والسلام والحرية“ ، لكن الطغاة استكثروا على الشعب تلك المطالب البسيطة.

ولهذا الصدد نحاول معرفة الأسس في ثورات العرب التي توجد معايير موثيق الدولية<sup>٢</sup>.

٤- ما هي الأسس الدولية لها؟

وقتئذ استخدم الشعب ”حقوقهم الاساسية“ المشروعة، خاصةً كذلك الذي جرى في تونس ومصر و بداية ثورات سورية و اليمن، إذ لم يخرج الشعب عن إطار النضال المشروع، ولم يسجلوا أي إخلال بحقوق الإنسان، لم يسيئوا لأحد، وحمى الشعب أمن البلاد كما حمى أيضاً الديمقراطية وحقوق الإنسان، باستثناء عدد محدود من الأشخاص والمنظمات.

لكن هل القانون الدولي و موثيق الدولي و اتفاقيات الدولي تتضمن شيئاً تخص ما قام به الشعب العربي؟. وكلمة حقوق الإنسان و حرياته أحياناً تستعمل في مقابل الحقوق والانظمة التي يطلبها البشر في تطبيق القانون الدولي وما يصل اليها.

علينا أن نفكر أو نرى الموضوع ضمن إطار عناصر رئيسية ينص عليها القانون الدولي و موثيق الدولي و اتفاقيات الدولي وهي:

١. استخدام حرية وسائل الاعلام
٢. العصيان المدني (المقاومة السلبية).
٣. حق المقاومة.
٤. حق تقرير المصير.
٥. حق التظاهر والإجتماع السلمي.
٦. حق المطالبة بتغيير النظام بطرق ديمقراطية وسلمية.

## ١. استخدام حرية وسائل الاعلام :

ان حركة التشريع المتعلقة بحرية الإعلام، كحق من حقوق الإنسان تتوسع على المستويات الدولية و الوطنية منذ سبعينات هذا القرن في بعض المجتمعات الديمقراطية، على أن سندها المبدئي يرجع إلى نهاية الأربعينات، عندما صادقت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨. هذا الإعلان الذي لا يعتبر من وجهة نظر القانون الدولي ملزماً في حد ذاته، وضع الأسس العامة لتشريع إعلامي خاص بحرية الإعلام التي تنص عليها المادة ١٩ منه، والتي جاء فيها أن ” لكل شخص الحق في حرية الرأي و التعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الأفكار وتلقيها ونشرها.

انطلاقاً من هذه المبادئ العامة ظهر خلال النصف الثاني من القرن الماضي ما يزيد عن وثيقة ما بين معاهدة (١٢) وإعلانات (١٤) ولوائح (٨)، تهتم بصفة صريحة أو ضمنية بحرية الإعلام، وبخاصة الجانب المتعلق بالتدفق الحر للمعلومات. مساهمة وسائل الإعلام و خاصة وسائل الإعلام الإلكتروني بشكل ملحوظ في بناء جسور من التواصل بين القارئ العربي بالاتصال ومستقبل الرسالة مما كان له بالغ الأثر في تفاعل كل من الجانبين مع الآخر ونتطرق الآن إلى أهمية التواصل بين المادة المقروءة وبين القارئ، حيث أتاحت التكنولوجيا الرقمية أداة تمكن القارئ من التعبير عن رأيه حول المادة المقدمة، فمنذ نشأة الإعلام التقليدي لم تتح أمام القارئ أداة تساعده في التفاعل مع المادة المقدمة سواء كانت إذاعة أو تليفزيوناً مما كان يحول بين التفاعلية.

كانت وظيفة وسائل الاتصال في العالم العربي كما هي:

أ- إن وسائل الإعلام والاتصال يجب أن تقبل تنفيذ المهام التنموية بما يتفق مع السياسة الوطنية القائمة.

ب - إن حرية وسائل الإعلام والاتصال ينبغي أن تخضع للقيود التي تفرضها الأولويات التنموية والاحتياجات الاقتصادية للمجتمع.

ج- يجب أن تعطي وسائل الإعلام والاتصال الأولوية للثقافة الوطنية واللغة الوطنية في محتوى ما تقدمه. وقد استخدم الشعب العربي حرية وسائل الإعلام والاتصال كما ينبغي تجاه مستقبله ومعيشته و حقوقه و حرياته.

كما أخبرها خبراء الإعلام والاتصالات قبل سنين «إن تطورات الاعلام، بمختلف وسائله، وخصوصاً فى المنطقة العربية العربية اليوم، أصبح أداة التحرر الأولى، بينما ما زالت الأنظمة العربية غلى ما تسميه المراقبة أو التنظيم. كما أن مدفع التطور أدى إلى انهيار الإقطاعية فى تحصيناتها سيؤدى تطورتواصل، غير القابل للمراقبة، إلى انهيار الأنظمة التوتاليتارية. الثورة الإعلامية ثورة ديموقراطية»<sup>٢</sup>

إن نجاح الربيع العربي مدعم بممارسة حرية وسائل الاعلام. وقد تحققت أهدافه ووصل إلى غرضه المطلوب بعد الثورة الاعلامية التى استعمل فيها الفيسبوك و وسائل التكنولوجيا الاخرى<sup>٤</sup>. ويمكننا أن نقول إن الربيع العربي ثورة ديموقراطية و سلمية وشعبية، و نجحت باستعمال حرية وسائل الاعلام<sup>٥</sup>.

## ٢. العصيان المدني :

كفل النظام الحقوقي الديمقراطي، حق دفاع الفرد عن نفسه، و حمايتها بوجه الظلم، ويدعى هذا النوع من أنواع الدفاع، الذي يقوم به الفرد، الذي تعرض للظلم، ولم تسفر الطرق القانونية عن رفع الظلم عنه، بـ ”المقاومة السلبية“، ومن خلالها يعمل الشعب على لفت انتباه الرأي العام والنظام. ويعتبر استخدام الشعب لحقوقه التي لم تمنح له، وتحمله للعقوبات الناتجة عن القواعد الحقوقية الإيجابية المهضومة، والانفتاح على العامة، وعدم ممارسة العنف، من أهم المعايير الخاصة بالعصيان المدني، الذي هو أحد أوجه حق المقاومة<sup>٥</sup>.

وتأخذ أفكار «هنري دافيد ثورايو» و«غاندي» و«مارتن لوثر كينغ»، الذين يعتبرون رواد أسلوب العصيان المدني، حيزاً كبيراً فى هذا الصدد.

ويعتبر مبدأ «عدم ممارسة العنف»، مبدأً أساسياً، ونقطةً مشتركة بين المفكرين، كما أن القائمين على العصيان المدني يعرفون مسبقاً، ماهية العقوبات التي من الممكن أن يتعرضوا لها جراء فعلهم، لكن ينبغي عليهم رغم ذلك عدم اللجوء إلى العنف قط.

وتعتبر «القروين بيرغامو» بتركيا أحد أمثلة مشهورة فى هذا الصدد، فعندما ندقق بأحداث «القروين بيرغامو» أنهم قاموا باحتجاجات عدة و متنوعة بدون استخدام القوة للوصول الى حقوقهم المشروعة، نجدها تتوافق مع معايير العصيان المدني، لذا نجد أن بإمكاننا أن نصف العصيان المدني الذي

تشكّل إستناداً على قاعدة السلمية وحسن النوايا، بأنه تيار فلسفي سياسي مختلف<sup>٦</sup>.

ومع الربيع العربي، وكنموذج جميل للمقاومة السلبية، طرحت الشعوب مطالباتها في العام ٢٠١١، وأظهرت من خلالها طرحها لهذ المطالبات على أرضية مشروعة، حيث أظهرت أن هذا الحق ما زال متداولاً في يومنا هذا. وهذا المطالبات أصبحت قدوة للآخرين. من جهة استعمال حق عصيان المدني بدون القوة و الشدة أو الأسلحة<sup>٧</sup>.

### ٣. حق المقاومة.

يعتبر حق أو واجب المقاومة، من المواضيع التي تكثر عليها النقاشات في الفلسفة السياسية، بسبب محتواها، وفي الحقيقة فإن اعتبار مواضيع كمقاومة سلطة موجودة، أو الوقوف بوجه هجمات تستهدف تلك السلطة، أو إسقاط النظام القديم أو إعادته، أو إستبدال حاكم يوصف بالظالم، والمجيء بحاكم غيره، مواضيع مثيرة للجدل، أمر طبيعيّ للغاية.

ومع بروز فكرة أن الشعب هو مصدر شرعية السلطة، والتي كانت إحدى نتاجات المفهوم العصري للدولة، برز حق المقاومة ضد الحاكم أو النظام، الذي هو مصدر الظلم الذي يمارس ضد الشعب، وهنا يستحضرنا ذكر رأي الكاتب ”جون لوك“، الذي أسند مصدر الشرعية إلى العقد الاجتماعي للأفراد، الذين تركوا الحالة الطبيعية، بهدف حماية حقوق الحرية والحياة والتملك، ومع هذه الاتفاقية فإن النظام حول الدولة التي هي العضو السياسي بسلطاته.

كما يرى الكاتب أيضاً أن من حق الشعب الدفاع عن نفسه، ضد سلطة سياسية تقوم بظلمه، بعد أن ضربت عرض الحائط بجوهر الوظيفة التي أوكلت إليها من قبل الشعب، إضافة إلى أن الشعب يمتلك السلطة التي تخوله فسخ العقد الإجتماعي الموجود، وإحداث عقد إجتماعي جديد.

ونرى أن العديد من الدساتير أفرغت حيزاً ضمنها لذلك الحق، كما نرى أن المادة الـ ٢٠، من الدستور الألماني نظّمت حق المقاومة، كذلك فعلت المقاطعات الألمانية في دساتيرها.

كذلك يجدر بنا أن نوضح هنا، أن التقاليد الدستورية في الولايات المتحدة الأميركية، تحتوي على مثل تلك المواد، وعلى سبيل المثال: الحصر، هذا الحق في دستور ولاية ”كنتاكي“، والميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

عند النظر في النصوص العالمية، فإنه لوحظ ذكر هذا الحق في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

في الواقع، إن الربيع العربي إضافة إلى ما قامت به الشعوب العربية، ترجمت هذه الخطوة إلى واقع ملموس، شقت طريقها من الأنظمة الديكتاتورية إلى الديمقراطية، من خلال العصيان المدني، دون أن تتسبب بالضرر لأحد، أو تعرض أمن المجتمع للخطر<sup>٤</sup>.

#### ٤. حق تقرير المجتمعات لمصيرها

حق تقرير المصير في القانون الدولي:

أصبح حق تقرير المصير أحد أهم مفاهيم القانون الدولي و موثاق الدولي و اتفاقيات الدولي و مفاهيم حقوق الإنسان العالمية في القرن الواحد والعشرين، حيث بدأ بتشكيل هيكل جديد في المجتمع الدولي. وتحددت الخارطة السياسية للعالم، ومن ثم فانه بعد المتغيرات التي مر بها، يصبح شائعاً. ومن البدايات، كونه مبدأً سياسياً، تحول حق تقرير المصير، إلى حق قانوني في الأمم المتحدة في اتفاقيات الدولية التوأمة عام ١٩٦٦، وفي قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفي العوامل الفاعلة الأخرى في القانون الدولي<sup>٥</sup>.

بدأت الفترة الأولى حيث نصت القوانين على الاعتراف بحق تقرير المصير للشعوب الواقعة تحت الحكم الاستعماري المنصوص عليها فقط، وفي نهاية القرن لوحظ استفادة شعوب الجمهوريات الاتحادية في الاتحاد السوفييتي، باستخدام هذا الحق.

ومع الربيع العربي، وكنموذج جميل لتحقيق تقرير المصير، طرحت الشعوب مطالباتها في العام ٢٠١١، وأظهرت من خلالها طرحها لهذ المطالبات على أرضية مشروعة، حيث أظهرت أن هذا الحق ما زال متداولاً في يومنا هذا.

#### ٥. حق التظاهر والمسيرات :

تكتسب المظاهرات والمسيرات أهمية يوماً بعد يوم كأحدى الممارسات الديمقراطية ويتخذ أبعادا مختلفة في ظل مفهوم «حرية التعبير».

ولا تكمن المشكلة في اللوائح الناظمة لمثل هذه التحركات فقد تكون موافقة لأرقى الشروط إلا أن المشكلة تنشأ عند سوء التطبيق حيث نلاحظ أن بعض الأنظمة تستعمل العنف المفرط تجاه مستخدمي حق التظاهر وقد يغيب بعضهم في غياب السجون لسنين ولكننا رأينا كم كان لهذا الحق دور فاعل في دفع



عجلة الربيع العربي. ،العرب استعملوا هذا الحق سلميا لا متجاوزا عن شروط اطار القانون الدولي.

## ٦. تغيير الأنظمة بالطرق السلمية والديمقراطية:

المجتمع الدولي كان يسكت سكوت الأعمى والأصم لأن مصالحهم كانت تستند على الا استقرار ولو لم يكن هناك ارادة الشعب و ادارته. بعدما عرف المجتمع الدولي أن طغاة العرب فؤوس من الورق و مصالحهم بهؤلاء الناس لا يستمر الى الأبد أمكن و سمح وأيد لصحوة العرب بهذه المظاهرات والمسيرات ، وربما المجتمع الدولي هو الآخر غير مستعد ليقبل مثل هذه الفكرة لأنه كان يسكت سكوت الأعمى والأصم حتى رأى موقف الشعب ومصالحهم للمستقبل غيروا مواقفهم مع أنه لا تبدو إلا حقا طبيعيا وطموحا مشروعا في ظل مبدأ (حق تغيير الأنظمة بالطرق السلمية والديمقراطية) الذي غدا جزءا من ثقافة العصر وأعرافه الدولية.

في هذه الأيام تعد الأنظمة غير الديمقراطية أيامها الأخيرة فلم تعد تلك الأنظمة قادرة على البقاء بسلطة الجبار والخوف وليس الربيع العربي إلا صرخة شعوب مكبوتة على مدى سنين تواقه للحرية والديمقراطية فلكل شعب حق طلب تغيير إدارته بالطرق الديمقراطية و السلمية.

## ب- النتيجة:

ومجمل القول أن الربيع العربي ليس حدثا اجتماعيا مفاجئا نابعا من ضغط تعرضت له الشعوب بشكل مفاجئ وإنما تراكمات على مدى السنين عززها تنامي مفاهيم العدالة والديمقراطية التي اسس لها القانون الدولي و موثاق الدولي و اتفاقيات الدولي فغدا العرب يطالبون بالحرية إلى جانب الأمان ولقمة العيش لاسيما بعدما عاينوا إمكانية تحقيق ذلك.

ويمكننا أن نقول نتيجة أن الربيع العربي يستند على هذه المبادئ الآتية بمفاهيم القانون الدولي و موثاق الدولي و اتفاقيات الدولي وهي: استخدام حرية وسائل الاعلام، العصيان المدني، حق المقاومة، حق تقرير المصير، حق التظاهر والإجتماع السلمي، حق المطالبة بتغيير النظام بطرق ديمقراطية وسلمية.

نأمل من الله عز وجل أن ينعم العرب بالخير والرفاه ونمو الاقتصاد مع حفظه ورعايته .

## الهوامش والمراجع:

١- تشكل إستراتيجيات الإتصال في المجتمعات ما بعد الصناعية، أو في مجتمعات ما بعد الحداثة، هامساً دائماً وانشغالاً مؤرقاً للمشتغلين والمهتمين بإدارة وتسيير هذه المجتمعات من سياسيين ومخططين وعلماء ومنفذين... يتمركز حول توفير أدوات وآليات إنتاج المعرفة انطلاقاً من البحث عن المادة الخام ل«الصناعة» المعرفية، المعلومة وتنظيمها وتخزينها واستعادتها وتداولها، عند الضرورة، عبر مختلف وسائط الإتصال الفردية والجماعية الجماهيرية التقليدية منها والإلكترونية.

٢- أنطوان مسره، التحولات التكنولوجية: ثورة في بنى التربية و العمل و الاعلام، ؟، حقوق الإنسان على مطل الألف الثالث تحديات التكنولوجيا، منشوراة جامعة سيدة اللويزة، لبنان، ١٩٩٩، ص. ٩٨.

٣- عبود القاعى، ١٩٩٩، دخول التكنولوجيا إلى مؤسسات التربية و العمل أية مراجعات؟، حقوق الإنسان على مظل الاثا تحديات التكنولوجيا، منشورات جامعة سيدة اللويزة، لبنان، ص. ٢١.

٤- مي عبد الله، ٢٠١١، البحث فى علوم الاعلام و الإتصال من الاطر المعرفية إلى إشكاليات البحثية، دار النهضة العربية بيروت\_\_ لبنان، ص. ٣٧.

٥- COŞKUN, Vahap, Direnme Hakkı, Husus Felsefesi ve Sosyolojisi-

Dergisi, S. 5, s. 53

KORKUSUZ, s. 132.-٦

٧- عبود القاعى، ص. ٢٣: نبيل عبد الفتاح، ص. ١١٨: عبد الحسين شعبان، ص. ٥٠: تامر كامل محمد، ص. ٢٥٢: صالح ابن عبد الله الراجحى، ص. ٥١. COŞKUN، s. ٥٣.

٨- عبود القاعى، ص. ٢٣: نبيل عبد الفتاح، ص. ١١٨: عبد الحسين شعبان، ص. ٥٠: تامر كامل محمد، ص. ٢٥٢: صالح بن عبد الله الراجحى، ص. ٥١.

## قراءة في المتغير السياسي للربيع العربي\*

مدير التحرير  
د. عدنان خوجة

لطالما انتظر الشارع العربي هذا الغضب العارم. ولطالما حَلمت به الجماهير المقهورة، على مساحة الوطن العربي، طوال عقود من حكم الطغيان، والفساد، والإستئثار بالسلطة. ذلك الطغيان الذي تطلّى خلف عباءة القضية الكبرى فلسطين لفظياً وتنكر لها عملياً. فضحّى بالتنمية، وحول الأوطان إلى سجون، وشرّد الشباب بعد أن صادر تطلعاتهم المشروعة نحو المستقبل .

إنه الغضب الذي فاجأ القاضي والداني فأربك السلطة ولقن الغرب دروساً في الديمقراطية النزيهة والحرية التي تصنعها الشعوب، عبر الإحتجاجات التي فاجأت المراقب، والتي تجاوزت بسحرها وتأثيرها أجمل ما اختزنه التاريخ العربي الحديث من بطولات. متجاوزة ظاهراً الإحتجاج الى إنفجار عفوي، تسونامي بشري مهد الطريق أمام ثورة شعبية متنامية.

ثورة لا تشبه الثورات الكبرى، ثورة جاءت على جناح تكنولوجيا الإتصال لم تعرف التأطير الإيديولوجي والكاريزمات القيادية ولم تمر عبر الأطر الحزبية ومدارسها العقائدية. ثورة لم يتسنّ لها الوقت لإعتماد برنامج سياسي مما دفعها لإعتماد عنوان عريض ”الحرية حق للشعوب“.

---

في إطار ندوة بعنوان: « قراءة في مسارات الربيع العربي / معوّقات التغيير»، معرض بيروت الدولي للكتاب السادس والخمسين- مركز «بيال»، بيروت-لبنان- ١٣ / ١٢ / ٢٠١٢.

لطالما ردد الكثيرون أن الشعوب العربية مبلوطة بحكامها. وأن هؤلاء هم بمثابة القدر السيئ، أو اللعنة التي سقطت عليهم منذ أربعة عقود. وأن تلك الشعوب قد تحتاج لمعجزة حقيقية للتخلص من واقعها المرير حتى تزول تلك اللعنة التي أصابتها قبل أن يزول معها طموح الأمة.

لقد تكون لدى المواطن العربي، وعلى مدى العقود الأربعة الماضية، شعور عميق لم يشهد تاريخ المنطقة مثيلاً له، شعور بالمذلة والغبن السياسي والإجتماعي، شعور بالقهر والغربة والدونية تجاه العالم بعد أن أغلقت في وجهه نوافذ الأحلام.

غير أن المفاجأة جاءت من تونس وانفرط العقد، وارتفع صوت الجماهير في أربع جهات الأمة. فطائر الحرية اليوم طليق وهو يجوب سماء العرب وتحتة تتهاوى عروش الطغيان. ما أشبه اليوم بالأمس، ففي مطلع القرن الماضي انتفض العرب على عبودية الاستعمار.

وفي مطلع الألفية الثالثة انتفضوا على جور النظام الذي أسسه الإستعمار لرعاية مصالحه واستمرار نفوذه، ومن ثم تبنته أميركا ليكون عتلة التخلف للسيطرة على موارد النفط، والعصا الغليظة التي تقصم ظهر الحاضر، لتلغي طموحات المستقبل.

وإذا كانت الإحتجاجات اليوم ترتفع في سماء العرب، فهي حتماً المؤشر الذي يدل على أن تحولاً كبيراً قد طال الواقع السياسي للمنطقة، فالمفاجأة لم تطل المراقب والنظام السياسي العربي وحسب، بل طالت الغرب بكل مؤسساته السياسية والإستراتيجية أيضاً حيث استفاق على شوارع تملأها الحناجر بدعاوى التغيير وطلبات التحرر. مما أربك برامجه ووضع الخلل في مفاصل سياساته التقليدية، وهذا ما برز في المواقف المتناقضة من الشارع العربي، وفي ردات الفعل الغربية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى الإرباك الذي سيطر على مجمل الدوائر الغربية لحظة بداية حركات الإحتجاج العربية. لذلك تناقضت التصريحات والمواقف الغربية، وبات الغرب بين سندان مصالحه ومطرقة القيم الإنسانية التي يؤمن بها والتي ينادي بها المحتجون، ولذلك أيضاً لم يعد بمقدور هذا

الغرب الوقوف في وجه دعاوى الحرية والتغيير وباتت هواجسه ومصالحه المصيرية تدفعا لإلتقاط الموجة مما دفعه الى تقديم التنازلات الطوعية وخوض المعارك الحربية والتخلي عن حماية الأنظمة التي تحولت تحت وطأة الحركات الإحتجاجية الى بطة عرجاء.

فال فشل هو سمة الدولة العربية القطرية منذ تأسيسها والفشل هو نتيجة حتمية لسلسلة من خيبات الأمل في أداء هذه الدولة على مختلف الصعد في الأهداف والطموحات والمشاريع والسياسات والآليات والمسارات التي سقطت في مستنقع الفساد وتلوثت بالطائفية والقبلية والهزائم الداخلية والخارجية والفشل تحول الى ثقافة في الأداء السياسي العربي، إلى أن تحولت الدولة القطرية الى نظام أممي كرس كل طاقات الأمة وثرواتها لحماية النظام وتأييد سلطته، عبر التأسيس لثقافة الإنقسام على حساب ثقافة الوحدة. وعبر تصحير الحياة الثقافية والسياسية ومصادرة نبضها الحر عبر مصادرة الحريات والرأي العام وعبر إلغاء دور المواطن في العملية السياسية.

غير أن الحراك الثوري تجاوز التوقعات وتجاوز قدرة المراقب على استيعاب تسارع الأحداث التي أدت الى انهيار بيت العنكبوت، حيث تجلى مستوى الوعي الجمعي الكامن في صدور الناس وباتت الحاجة أكيدة الى اعتماد آليات فهم جديدة غير تقليدية لمواكبة المتغيرات وحماية الحراك الثوري من الانحراف والمصادرة فالمقاربات التقليدية تعطي فهماً تقليدياً بينما يسعى الحراك الثوري لتأسيس مفاهيم سياسية جديدة تجعل من الربيع العربي ظاهرة القرن الواحد والعشرين.

وإذا انتقلنا الى إطار المعارضة نلاحظ أن حضورها على مدى العقود الماضية كان حضوراً ظرفياً وهي في بعض الأحيان كانت جزءاً من السلطة. وربما شكلت معارضات متنافرة غير موحدة الأهداف، على صورة الواقع العربي، تتحرك في المدى العاطفي دون برنامج مرحلي ورؤيا مستقبلية. ميدانياً تسعى اليوم للتوافق المرحلي على مشروع إسقاط النظام ولكنها غير محصنة تجاه الخلافات التي قد تعصف بفصائلها ولا تمتلك الرؤى المستقبلية المناسبة لرسم صورة واضحة للمستقبل المنشود.

من الطبيعي إذن أن يعم القلق ويذب الخوف اليوم في الدوائر الغربية ومعها إسرائيل وإيران، ويبدو هذا واضحاً في السلوك المضطرب للمتضررين من تسارع الحدث الثوري. لأنهم اعتقدوا لوهلة بأنهم استطاعوا القبض على المنطقة وتغيير مزاجها الحضاري المتحرر عبر مشاريع الشرق الأوسط الجديد وعبر قيم الفوضى الخلاقة التي تردت اليوم عليهم. ومن الطبيعي أن تنتفض الجماهير، لتقول كلمتها، ولتأخذ بيدها المبادرة بعد عقود من الظلم والطغيان. ومن الطبيعي أيضاً أن تجد الولايات المتحدة نفسها في وضع ضعيف، وهي تتنكر لمبادئها. فهي لا تستطيع أن تقف ضد أصوات التحرر والديمقراطية السلمية الخارجة من الحناجر الشابة، ومن ساحات التحرير لذلك فهي تسعى للإلتفاف على حركة الجماهير الثائرة عبر السعي لترميم بعض تلك الأنظمة وتقديم بعضها الآخر كقرايين، لأن سقوطها كاملة سوف يؤسس لسقوط السياسات الغربية الملتوية القائمة أيضاً على الطغيان ونهب الثروات، وبالتالي سقوط إسرائيل المدوي، إثر العودة المتوقعة للرايكاالية العربية بوجه إسرائيل مما يحتم تغييراً في المشهد الإستراتيجي وأدواته المعتمدة نتيجة خسارة الغرب لصمامات الأمان المتجسدة بالأنظمة العربية المتداعية. مما يفتح الطريق أمام القوى الإقليمية لمصادرة المستقبل العربي عبر مصادرة دوره والإمساك بحراكه قبل أن يتحول الى طاقة جديدة تكسر حالة الستاتيكو المهيمن منذ نصف قرن.

يبقى الإسلاموفوبيا هو الصورة التي تستبطن الحراك الثوري عبر الإسلام السياسي المرتبط بالإستبداد والذي هو غريم النظام القومي وربيبه ووجه العملة الآخر الذي سخره الغرب طيلة الحرب الباردة ثم عاد وانقلب عليه ليتحول الى فزاعة في وجه هذا الغرب بعد أن دفعه طموحه الى ركوب بعض أمواج الربيع العربي وحملته شهيته المفرطة للسلطة الى سلدة القرار السياسي والأمني على بساط الديمقراطية من جهة وفوهة المدفع من جهة أخرى وبات شريكاً مضارباً للثورة في أكثر من موقع. غير أن التلكس الفكري لهذا الفريق يجعل منه عاملاً محبطاً بدل أن يكون عاملاً مساعداً عاملاً يعيش على أحلام الماضي ويفتقر لرؤية جديدة تستفيد من عوامل القوة التي حملت الرسالة الإسلامية إلى مختلف بقاع الأرض لحظة ظهور الرسالة الكريمة رسالة الإسلام المنفتح صاحب المشروع الوحدوي يوم كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس.

الفضاء العربي اليوم يتنسم طعم الحرية، والتغيير بات علامة العصر العربي الجديد. وهذا ما يحتم التأسيس لعقد اجتماعي جديد ما بين السلطة والمواطن في العالم العربي، عقد يتجاوز ارهاصات الماضي. يقدر الحرية ويعتمد الديمقراطية كوسيلة للتعبير السياسي السليم ويؤمن بمبدأ تداول السلطة، عقد يخرج بالمجتمعات من دائرة الإستبداد وأساليب الإرهاب الى رحاب العدل الإجتماعي واحترام حقوق الإنسان وتقاسم الثروة الوطنية على قاعدة التنمية المتوازنة، عقد يمنح السيادة القومية والقطرية معنى آخر غير قابل للإختراق، كما هو حاصل، تحت أي ذريعة خصوصاً في زمن تتغير فيه المعاني وتكتسب فيه المرادفات السياسية معاني جديدة يفرضها منطق القوة أو منطق الهيمنة.

ومهما يكن من أمر، فإن حركة الإحتجاج العربية، أو ما سمي بربيع الغضب العربي، كان من أهم انجازاتها هو كسر جدار الخوف المزمّن لدى الجماهير وعودة هؤلاء الى الساحات لإستعادة الذات واستعادة التماسك والخروج من قمقم الدولة الأمنية التي بددت الأحلام. والتلاقي عند صيحات الحناجر التي تنعش الأمل بربيع العرب المفقود وتفتح الطريق أمام التواصل العربي العربي، بوسائل العصر وتكنولوجيا الإتصال، لثلاث مليار بشري سجنهم حكامهم خلف حدود وهمية، وأعتقد اسلافهم فيما مضى أنهم يمثلون أمة تستحق الحياة، وعليهم هم إنعاش هذا الاعتقاد. هكذا فقط تسقط السيناريوهات السوداء ويبدأ التحول الذي يسعى إليه التاريخ.